مَناهِجُ المفسِّرين

من العصر الأول إلى العصر الحديث

الجزء الأول

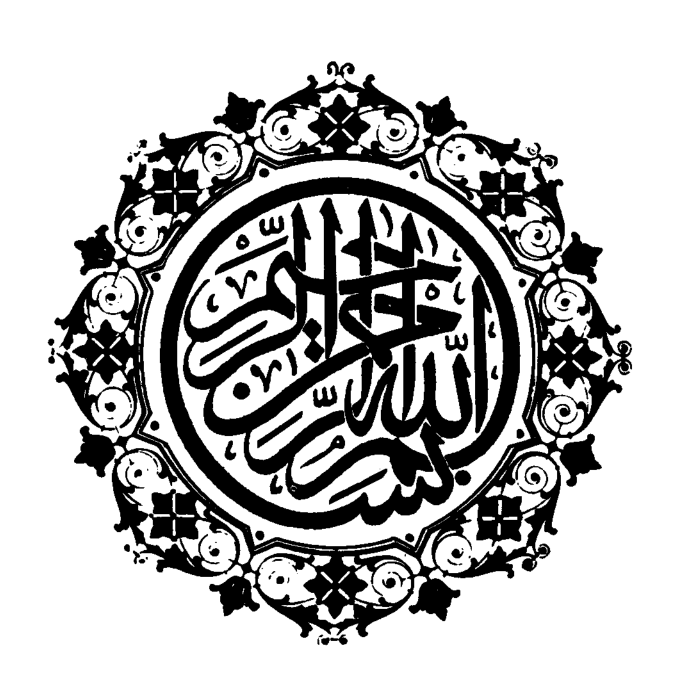
التفسير بالمأثور

للدكتور/ محمود النقراشي السيد علي

الناشر
مكتبة النهضة - القصيم - بريده
هاتف ٣٢٣٥٥٨٨ ص.ب ٨٩٧

فسح وزارة الإعلام برقم ١٩/م/ق
وتاريخ ١١/١٠/١٤٠٦هـ

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلق الإنسان في أحسن تقويم، واختصه بضروب النعم وألوان التكريم، بما أغدق عليه من المنن والعطايا، ما جعله أهلا للاستخلاف في الأرض.

والصلاة والسلام على رسوله ومجتباه محمدبن عبدالله الذي أجلى معالم الوحى هداية راشدة وجسد معانى القرآن الكريم إلى سلوك فاضل كانت البشرية أحوج ما تكون إليه.

أما بعـــد :

فلقد روى عن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا أنها ستكون فتن) قلت: ما المخرج منها يارسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا: ﴿أنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»[1].

---

(١) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن عن على ٤٣٥/٢.
وأخرجه الترمذى في كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن الكريم بنفس لفظ الدارمي: ٢٤٥/٤.
وروى الامام أحمد بعضه عن على : ٩١/١.
ورد ابن كثير ما قيل في الحديث من طريق الحارث الأعور ٥/٤ ملحق والقرطبى: ٤/١.

وبوحى من هدى هذا التوجيه النبوى عن القرآن العظيم، لقى كتاب الله الخالد ـــ القرآن الكريم ـــ من الاهتمام البالغ ما لم يظفر به أي كتاب آخر حفظا واستذكارا، تجويدا وترتيلا، شرحا وتفسيرا تعبدا وتبركا، اعزازا واكبارا، تفكرا وتدبرا، استنباطا لأحكامه، وتجليه لشرائعه، وتخلقا بأخلاقة، وبحثا إلى الطرق الموصلة إلى معرفة معناه.

والقرآن الكريم خليق بذلك لأنه يعطى كل جيل على قدر ماتمكنه منه ثقافته، ويسمو إليه فهمه.

وهو الذي جعل من أتباعه أسوة حسنة، من خلال أقدس فضيلة أصبحت سلوكا حيا لأتباعة أفراداً وجماعات ممن وجدوا في كتابهم نظريات شاملة في واقعية منهجة المتكامل الذي استوعب كل مسائل الفرد والجماعة وجعل قضاياهم محلا للتحليل، وأوجد لهم العلاج الجذرى السريع قال عز من قائل: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ .. الآية /٨٢/ سورة الاسراء.

وعليه فان العمل في رحاب القرآن الكريم عظيم غاية العظمة، صعب أشد الصعوبة.

عظيم لشفافيته ورقته وقوته، وعظمة أسلوبه ومعناه، وسموه فيما يوحية لقارئية ومتدبرية.

وصعب لعدم الاحاطة بكنه معناه، الذي تكفل الحق سبحانه وتعالى أن يكون عطاء لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن ثم فان الاشتغال بتفسير القرآن الكريم المبنى على الأسس السليمة خير ما يقوم به الإنسان لصالح دنياه وآخرته. لأنه التدبر العملي لآيات القرآن الكريم.

ولما كنت من الذين أنعم الله عليهم بالعمل لخدمة كتابه الكريم، وكان

من بين نواحى خدمة الكتاب الكريم دراسة مناهج أهل التفسير الذين من الله عليهم بأن جعلهم أهل كتابه حفظاً وتبيانا بما بينه به سلفهم الصالح، لينقل كفاية مصونا مبينا إلى أمة الاسلام جيلا عن جيل.

لذلك حرصت على أن أدرس مناهج المفسرين من لدن رسول الله ﷺ باعتباره نبيا ورسولا بين للناس ما نزل إليهم، إلى عصرنا الحاضر. عارضا ما قالوه ملتزما جانب الحيدة بيانا لوجه الحق.

ولا يظن ظان أننى أدافع عن أهل التفسير، فليس أحدهم موضع. تهمة ــ صدقا وعدلا ــ ولكنه الحق الذي خبأه الزمن قرونا طويلة ــ ظلما وافتراء ــ من وجهة نظرى ووسمته بـ «مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث».

وكان منهجى في عرض هذه الدراسة أن تناولتها مبتعدا ما أمكن عن الخلافات التي لا طائل من ورائها الا شتات الفكر دون ثمار تجنى، وأن أوفق ما اختلف ظاهره عاملا على لم شمل ما إفترق ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

وكل جل اهتمامى أن أرد كيد أعداء الإسلام إلى نحورهم مبينا كيف وصل التفسير المأثور الينا مع بيان مراحله، وكيف جنح اصحاب المدارس المختلفة إلى الاستفادة من هذا المأثور في تأكيد اتجاهاتهم، وان كان ــ في بعض الاحيان ــ هذا الجنوح يخالف ظاهر النص ــ في نظرنا ــ مشيرا إلى أنواع التفسير، مبينا معناها، ثم النشأة، ثم مقدار الثقة بكل نو ع.

ولقد حرصت على أن أفند مزاعم المتهمين لبعض المفسرين أنهم أخذوا عن أهل الكتاب مع عدم التفريق بين الغث والثمين، مبينا أن هذه فريه عارية عن الدليل وأثبتنا نقيضها وذلك بعرض القصص عند أهل الكتاب من كتبهم وما ذكره أهل التفسير حتى يتجلى الحق لكل مبصر.

ثم ذكرت نماذج من كتب المفسرين لأبين منهجهم الذي ساروا عليه دارسا اياه دراسة علمية معقبا عليها بما يبين ما سيقت من أجله.

ولا يسعنى هنا الا أن أقدم عظيم شكرى وتقديرى وعرفانى بفضل كل من تفضل على بالامداد بالمراجع أو التوجيه أو المراجعة شاكر للجميع ما طوقوا به عنقي من فضل وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد يوسف القاسم أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة. فأنا ثمرة بعض غرسة.

كما أقدم عظيم شكرى وتقديرى إلى فضيلة الدكتور/ عبد الحسيب رضوان وبارك الله للجميع وجزاهم عنى خير الجزاء.

هذا وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون عملى هذا ذخراً لى يوم نلقاه. ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمه وهيىء لنا من أمرنا رشدا﴾ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمود النقراشى السيد على

المبْحَث الأول

المبحث الأول
مقدمة في مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث

وتشتمل على مايأتي :

ـ التعريف بكلمة: منهج، تفسير، تأويل.
ـ مدى الحاجة إلى التفسير.
ـ علم النبي ﷺ وفهم الصحابة للقرآن.
ـ مايحتاج إليه المفسرون لكلام الله عز وجل.
ـ مصادر التفسير في العصر الاول.
ـ المفسرون من الصحابة.
ـ حكم تفسير الصحابي.
ـ خصائص التفسير في العصر الأول.
ـ مصادر التفسير في العصر الثاني.
ـ مدارس التفسير في عصر التابعين.
ـ قيمة التفسير المأثور عن التابعين.
ـ خصائص التفسير في هذا العصر.
ـ مراحل التفسير.
ـ تفسير الآيات الكونية بين الموءيدين والمعارضين.

التعريف بكلمة منهج وتفسير وتأويل

(أ) تعريف كلمة منهج لغة :

(نَهج) الطريق ــ نهجا، ونهوجا: وضح واستبان ومنهج الطريق وضوحه.

(والمنهاج) كالمنهج وفي التنزيل الحكيم (لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً) من الآية ٤٨ من سورة المائدة. والمنهاج الطريق الواضح وإستنهج الطريق صار نهجا (والنَّهج) البين الواضح. يقال : طريق نهج. وأمر نهج والطريق المستقيم الواضح يقال : هذا نهجي لا أحيد عنه[١].

(ب) اصطلاحا :

لقد تداولتها تعريفات عدة ونرى جمعها فيما يلي :

المنهج هو الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء أو في تعلم شيء طبقا لمبادىء معينة وبنظام معين بغية الوصول إلى غاية معينة[٢].

تعريف التفسير :

(أ) لغة: التفسير مصدر فَسَّر فهو من مادة (ف. س . ر)، وهذه المادة تدل على الكشف والبيان. يقال : فسَّر الشيء إذا بينه فالتفسير هو التبيين قال تعالي (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) من سورة الفرقان آية ٣٣ أي بيانا وتفصيلاً.

---

(١) انظر لسان العرب م/ص ٢٢٧ وأيضا المعجم الوسيط ٩٥٧/٢، غرائب القرآن للنيسابورى ١٠٩/٦، فتح القدير ٤٨/٢.

(٢) انظر معجم المصطلحات العلمية والفنية ملحق بلسان العرب المجلد الرابع ص ٤٩٠.

قال في القاموس (الفَسر) الإبانة وكشف المغطى كالتفسير والفعل كضرب ونصر[١].

وقال صاحب لسان العرب (الفَسر) البيان فسَّر الشيء يفسِّره بالكسر ويفسره بالضم فسراً. وفسَّره أبانه والتفسير مثله ثم قال الفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[٢].

ومن هذا نعلم أنه في الأصل ليس خاصا بالقرآن ولكنه شاع وإشتهر منه فإذا أطلق يكون المراد منه بيان المعنى الذي يقصده القرآن سواء في ذلك ما كان حقيقة أو مجازاً.

وفي المعجم الوسيط التفسير الشرح والبيان وتفسير القرآن: من العلوم الإسلامية يقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وما إنطوت عليه آياته من عقائد واسرار وحكم وأحكام[٣].

(ب) اصطلاحا :

لقد كثرت فيه أقوال القوم ونستطيع أن نورد لك مانراه أقرب إلى الإيضاح عرفه أبو حيان في البحر المحيط بقوله (علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك) ثم شرع في تخريج التعريف فقال: (فقولنا علم، هو جنس يشمل سائر العلوم وقولنا يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن.، هذا هو علم القراءات، وقولنا، ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحُتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التعريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان وعلم البديع، وقولنا، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، يشمل مادلالته عليه بالحقيقة، ومادلالته عليه بالمجاز[٤].

(١) القاموس المحيط ١١٠/٢.

(٢) لسان العرب ٣٦١/٦.

(٣) المعجم الوسيط ٦٨٨/٢.

(٤) لشيخ الإسلام ابن تيميه موقف من ذلك. انظر مجموع الفتاوي ٤٠٠/٢٠، ٤٩٠.

فإن التركيب قد يقتضى بظاهرة شيئا ويصد عن الحمل على ظاهره صداً فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على الظاهر وهو المجاز، وقولنا: وتتمات لذلك، هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما إنبهم في القرآن ونحو ذلك)[1].

تعريف التأويل :

(أ) التأويل :

التأويل في اللغة مأخوذ من الأول وهو الرجوع.

قال في القاموس (آل اليه أولا وقال: رجع، وعنه أرتد ...

ثم قال: وأول الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدرة وفسره، والتأويل عبارة الروءيا[2].

وقال في لسان العرب الأول الرجوع، آل الشيء يوءول أولا ومآلا رجع وأول الشيء رجعه وإلت عن الشء ارتدت[3].

وعليه فيكون التأويل لغةً مأخوذ من الأول لمعنى الرجوع إنما هو بإعتبار أخذ معانية اللغوية، فكأن الموءول أرجع الكلام إلى مايحتمله من المعاني.

وقيل التأويل مأخوذ من الإياله وهي السياسية فكأن الموءول يسوس الكلام ويضعه في موضعه[4].

(ب) التأويل في الإصطلاح :

التأويل عند السلف له معنيان:

أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواءاً وافق الظاهر أو خالفه فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفان.

---

(١) البحر المحيط ١/١٣ ، ١٤.

(٢) القاموس المحيط ٣/٢٣١.

(٣) لسان العرب ٣/٣٣.

(٤) أنظر أساس البلاغة ١/١٥.

ثانيهما هو نفس المراد بالكلام. فإن كان الكلام طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخبر به.
وبين هذا المعنى والذي قبله فرق ظاهر فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح ويكون وجود التأويل في القلب واللسان. وله الوجود الذهنى واللفظي والرسمى.
وأما هذا فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج سواء كانت ماضية أم مستقبلية وهذا في نظر شيخ الإسلام ابن تيميه لغة القرآن التي نزل بها[1].
وفي الفرق بين التفسير والتأويل أنظر التفسير والمفسرون[2] ومقدمة التفسير لشيخ الإسلام[3].

مدى الحاجة إلى التفسير.

الناس دائما تتجاذبهم الأهواء وتختلف لديهم الهوايات البدنية والذهنية والكل أمام هدى الخالق لخلقه «القرآن العظيم» تجتمع الأهواء الشتى حين ذكره باحثين فيما يؤمنون به أنه مناط سعادتهم في دنياهم وأخراهم وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم في عقائدهم وأخلاقهم في عباداتهم ومعاملاتهم، في إقتصادياتهم وسياستهم، في سلمهم وحربهم. ولا إدراك لهم بهذه المعارف إلا من خلال التفسير لأنه الجسر الموصل إلى هذه المبادىء والمفتاح لهذه الكنوز.

وعليه فحاجة الناس دائما ماسة إلى تفسير القرآن، ولا يكون ذلك إلا إذا توافرت لديهم أمور لا تتوافر لكثير منهم وتلك الأمور هي:

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٣/٢٨٤: ٢٩٤ وأيضا ٢٨٣، ٢٨٤، ٣١٢، ٣١٣.
(٢) ١/١٩.
(٣) ١٣/٣١٢، ٣١٣.

١ ــ إن من الألفاظ مايكون محتملا لعدة معان مع أن المراد واحد منها، وكثيراً مايترك بيان ذلك إعتماداً على القرائن ومن هذه القرائن مايخفى على بعض الناس.

٢ ــ إن القرآن في أعلى درجات البلاغة فيجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة وهذا يحتاج إلى بسط ماأوجز والكشف عما أجمل.

٣ ــ إن القرآن قد يشمل على مقاصد غير المعاني الظاهرة، فيحتاج ذلك إلى مايبينها.

٤ ــ إن الآيات قد نزلت لأسباب ولايمكن معرفة الآية إلا اذا عرف سبب نزولها. يقول الواحدى: (لايمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها.) وقال إبن دقيق العيد (بيان سبب النزول طريق قوى في فهم معنى القرآن)[١].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميه (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[٢].

٥ ــ إن في القرآن من الأحكام مالا يفهم علي الوجه الصحيح إلا بمعرفة السُنة إذ قد يكون مجملا فتفصله، أو عاماً فتخصصه، أو مطلقا فتقيده وأيضا ترى أنها قد إستقلت ببعض التشريعات[٣].

وعليه فإننا نرى أن التفسير هو الذي يوضح مااشتمل عليه القرآن الكريم من تشريعات وكان علماء الصحابة يأخذون من النبي ﷺ بيان ماخفى من أمره. وكان علماء الصحابة يحرصون كل الحرص على توضيح مايحتاج إلى إيضاح.

قال ابن عباس: الذي يقرأ القرآن ولا يفسر كالاعرابي الذي يهذى بالشعر. وقال مجاهد: أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل.

---

(١) أنظر مناهج الفرقان.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ١٦.

(٣) انظر في ذلك ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٩ وانظر أيضاً التعريف بالقرآن والحديث ص ١٦٤ ــ ١٦٥.

وقال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرءون القرآن وهم لايعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لايدرون مافي الكتاب. ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجال جاءهم المصباح وقرءوا مافي الكتاب.

وقال الحسن: والله ماأنزل الله آية إلا أحبّ أن يُعلمَ فيما أنزلت ومايُعنى بها[1].

(١) انظر «مقدمتان» في علوم القرآن ص ٢٦١.

علم النبي ﷺ وفهم الصحابة للقرآن

يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة القيامة ﴿إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ الآية ١٧، ١٨، ١٩. فهذا إعلان من الحق سبحانه وتعالي أنه تكفل بالحفظ والبيان فمن الطبيعي من خلال هذا أن يفهم النبي ﷺ القرآن الكريم جملة وتفصيلا.

كما كان طبيعيا أن يفهم أصحاب النبي ﷺ القرآن الكريم في جملته أي بالنسبة لظاهره وأحكامه أما فهمه تفصيليا ومعرفة دقائق باطنه بحيث لا تغيب عنهم شاردة ولا واردة فهذا غير ميسور وهاك بعض النماذج على ذلك.

تفاوت الصحابة في فهم معنى القرآن :

= ومما يشهد لهذا الذي ذهبنا إليه ماأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (وفاكهة وأبا) فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف ياعمر[١].

= وأيضا ماروى من أن عمر كان على المنبر فقرأ (أوياخذهم على تخوف) ثم سأل عن معنى التخوف فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص[٢].

= وأيضاً ماذكره السيوطي من أن إبن عباس قال: (كنت لاأدرى مافاطر السموات حتى أتاني أعرابيان متخاصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها، والاخر يقول: أنا إبتدأتها[٣].

---

(١) فضائل القرآن مخطوطة برلين لوحة رقم ٥٠ باب تأويل القرآن بالرأى وما في ذلك من الكراهية والتغليظ.

(٢) الموافقات ٢/٨٧.

(٣) الاتقان ٢/١١٣.

= وأيضا ما رواه البخارى أن عدىّ بن حاتم لم يفهم معنى قوله تعالى ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾[1]. وبلغ من أمره أن أخذ عقالا أبيض وعقالا أسود حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينا فلما أصبح قال يارسول الله جعلت تحت وسادتي قال: (إن وسادك إذن لعريض إن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك[2].

= وكذلك ماروى أن قدامه بن مظعون عامل عمر على البحرين شرب الخمر فقال عمر: إني جالدك فقال والله لو شربت كما يقولون ماكان لك أن تجلدني.

لأن الله يقول ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات، جناح فيما طعموا إذا مااتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾[3]. وأنا من هؤلاء، لأني شهدتُ مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والخندق فقال عمر : ألا تردون عليه؟ فقال إبن عباس: إن هذه الآيات نزلت عذراً للماضين وحجة على الباقين، لأن الله تعالي يقول ﴿ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[4]. فقال عمر صدقت[5].

ومن هذا يتضح لك أن الصحابه كان يختلف بعضهم عن بعض في فهم القرآن الكريم تبعا لإمكانية كل منهم.

وعليه فلا مجال هنا لما زعمه إبن خلدون من أن العرب جميعا كانوا يفهمون القرآن جميعه إذ يقول : وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة

---

(١) الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

(٢) أخرجه البخارى ٣١/٦ كتاب التفسير.

(٣) الآية ٩٣ من سورة المائدة.

(٤) الآية ٩٠ من سورة المائدة.

(٥) انظر الموافقات ٢٠٣/٣.

العرب وعلى أسباب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمون ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه[1].

ولعل إبن قتيبة وهو ممن قدم على إبن خلدون بعدة قرون يدرك ماأوضحناه سابقا إذ يقول:

إن العرب لاتستوى في المعرفة بجميع مافي القرآن من الغريب والمتشابه[2]. وبهذا نرى مدى علم الرسول ﷺ للقرآن جملة وتفصيلا من خلال ماأوضحناه وكذا تفاوت الصحابة رضوان الله عليهم في فهم معنى القرآن العظيم ولايلتفت لمن شذ.

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٢١٤.

(٢) انظر اعلام الموقعين ١/٦١.

ما يحتاج إليه المفسرون لكلام الله عز وجل

حتى يتهيأ التوفيق للمفسر في تبيان كلام الله عز وجل، فإنه يجب أن تتوفر له مجموعة من الصفات والمعارف والأدوات وفيما يلي أهمها :

أولاً :أن يكون عالما بظاهر التزيل عارفا بإختلاف القراءات ومايختلف به المعنى بها ومالايختلف.

ثانيـــــــاً :أن يكون عارفا بلغة العرب وطريقة النحو والإعراب.

ثالثـــــــاً :أن يكون عالما بأبواب السر من الإخلاص والتوكل والتفويض والأذكار الباطنة التي إفترضها الله تعالي على عباده، ومايصلح الأعمال ومايفسدها، وبآفات الدنيا ومعايب النفس وسبيل التوقي من فسادهما، ليتأتى له تفسير الآيات المنتظمة لهذه المعاني.

رابعـــــــاً :أن يكون عالما بأحكام الشريعة من العبادات والمعالات والسنن الواردة فيها ليضع الآيات التي تنتظم هذه الأحكام مواضعها.

خامساً :أن يعرف الأقاصيص والأخبار وشأن نزول الآيات ليحمل كل آية على مايقتضيه نزولها وليفرق بين الناسخ والمنسوخ بذلك.

سادساً :أن يحفظ مع الفهم أقاويل المفسرين من السلف ومن تابعهم فإن ذلك أهدى له فيما يريد وأدنى إلى الصواب فيه.

سابعـــــــاً :أن يكون جيد القريحة ذكي الفهم قوى الفكرة، فإن البليد قد يتقاعد عن فهم مايبين له، فكيف يستنبط مالم يبين له؟.

ثامنـــــاً :أن يكون مفوضاً أمره إلى الله تعالى متضرعاً إليه دائما أن يلهمه الرشد والتوفيق ويحذر الإعجاب بنفسه والإتّكال على عقله، وجودة قريحته فإن المعجب مخذول.

تاسعـــــاً :أن يكون من أهل الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فإن كل أحد محوط بما هو طالبة فمن رغب في الدنيا إنصرف قلبه إليها فيكون عبداً إلى ماتهوى نفسه فيضل بنفسه ويضل غيره.

عاشراً :أن يضع نصب عينيه ماضربه الله سبحانه وتعالى مثلا للعالم المنكب على الدنيا منسلخا عن وحي ربه فجعل مثله مثل الكلب حيث قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف الآية رقم ١٧٥، ١٧٦ ﴿وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾.
فكيف يوفق من هذه حاله من الإخلاد إلى الأرض وإتباع الهوى لإستنباط الصواب.

مصادر التفسير في العصر الأول

لايسع الباحث في مجال مناهج المفسرين إلا أن ينظر بعمق صادق إلى ما كان عليه من سنوا الأسس التي أوقف عليها رسول الله ﷺ الصحابة فصاروا لمن بعدهم هداة موجهين. لتوضيح الطريق أمام سالكية وليكون ماقاموا به نبراساً يجب الإحتذاء به لمن أراد أن يبتعد عن الشطط والهوى.

وهاك ماكان عليه التفسير في العصر الأول :
كان الصحابة في هذا العصر يعتمدون في تفسيرهم للقرآن الكريم على مصادر أربعة:
أولاً : القرآن الكريم.
ثانيا : النبي ﷺ.
ثالثا : الإجتهاد وقوة الإستنباط.
رابعا : أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وقد أوضحنا لك موقف شيخ الاسلام ابن تيميه من هذا المصدر ص ١١١، ١١٣ ومعالجتنا له ص ١٥١، ١٦١.
ونوضح هذا الاجمال ببعض الايضاح فنقول :

المصدر الأول: تفسير القرآن بالقرآن :

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه (إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد يفسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر[١].

نعم على من يتعرض لتفسير القرآن أن ينظر في القرآن أولا فيجمع ماتكرر منه في موضع واحد ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستبين بما جاء مسهبا على معرفة ماجاء موضحاً وبما جاء مبيَّنا على فهم ماجاء مجملا، وليحمل المطلق على المقيد والعام على الخاص. وبهذا يكون قد فسر

---

(١) مجموع فتاوى ١٣/٣٦٣.

القرآن بالقرآن وحاول أن يقرب مراد الله بما جاء عن الله عز وجل، وهذه المرحلة لايجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها والتجربة تثبت أن من حاول الإبتعاد عن هذه المرحلة توشك أن تنزلق قدماه إن لم تكن قد إنزلقت بالفعل وهذا مانراه واضحاً فيما هو آت.

ومن تفسير القرآن بالقرآن أن يحمل المجمل على المبين ليفسره ومثال ذلك تفسير قول الله سبحانه وتعالي في سورة النساء ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما﴾ الآية ٢٧.، بأهل الكتاب لقوله سبحانه وتعالى في السورة نفسها ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيلا﴾ الآية ٤٤.
وأيضا ماجاء في قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ الآية ٣٧ فسرتها الآية ٢٣ من سورة الأعراف في قوله سبحانه ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

المصدر الثاني : النبي ﷺ :

يقول شيخ الإسلام (... فإن أعياك ذلك ـــ يقصد القرآن الكريم ـــ فعليك بالسنة فإنها شارحه للقرآن وموضحة له بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي كل ماحكم به الرسول فهو مما فهمه من القرآن)[1].

لأنه ﷺ كما وصفه الحق سبحانه وتعالى بأنه القائم على بيان القرآن الكريم فقال ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾[2].

ومن خلال هذا التوجيه الإلاهي فلقد كان الصحابة يرجعون إلى رسول الله ﷺ إذا أشكلت عليهم آيه من كتاب الله بين لهم ﷺ ماخفى عليهم.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٦٣/١٣. مقدمة التفسير.

(٢) الآية ٤٤ من سورة النحل.

ويوضح ذلك رسول الله ﷺ فيما يرويه المقدام بن معد يكرب أنه قال: قال رسول الله ﷺ (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ألاَ يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا وإن ماحرم رسول الله ﷺ كما حرم الله[1].

والناظر في كتب السُنه يجدها قد أفردت للتفسير باباً من الأبواب التي إشتملت عليها ذكرت فيه كثيراً من التفسير المأثور عن رسول الله ﷺ.

فلقد أفرد الإمام البخارى في صحيحه كتاباً للتفسير ٦/٢٠ : ٢٤٥.
والإمام مسلم في صحيحه كتاب التفسير ٢٣١٢/٤ : ٢٣٢٣.
والترمذى كتاباً للتفسير ١٩٩/٥ : ٤٥٥.
ومثال ذلك تفسير غير المغصوب عليهم باليهود والنصارى[2].
وستجد أمثلة ذلك كثيرة.

تنبيـــــه :
لقد بينّ رسول الله ﷺ ماخفى وماعمى على القوم وماأشكل عليهم ولا أرى وجها لمن أنشأ الخلاف في المقدار المبين من النبي ﷺ وإذا كان مثيرى مثل هذه القضايا يزجون ببعض الأعلام فأرى أنه من المصلحة أنه قبل أن يصنف الناس إلى فرق على المصنف أن يقرأ كل ماذكره هوءلاء الأعلام.

وأنظر معي إلى مايقوله شيخ الإسلام ابن تيميه اذ يقول (إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان قد فسر في موضع آخر وماأختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسُنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ... إلى أن قال إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي إختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ...[3].

(١) الحديث والمحدثون ص ١١. والمستدرك للحاكم ١٠٩/١.
(٢) أخرجه بطوله الترمذي ٢٠٢/٥: ٣٠٤.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٦٣/١٣: ٣٦٥.

المصدر الثالث : الإجتهاد وقوة الإستنباط عند الصحابة :

لابد أن تعلم أن هذا المصدر كان يعول عليه إذا أفتقد سابقيه وتحققت لمن قال به أمور أربعة :

أولاً : معرفة أوضاع اللغة وأسرارها.

ثانياً : معرفة عادات العرب.

ثالثاً : معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن.

رابعاً : قوة الفهم وسعة الإدراك[1].

المصدر الرابع : أهل الكتاب من اليهود والنصارى :

من المعلوم أن القرآن الكريم متفق كثيراً مع التوراه والإنجيل في بعض القصص بيد أن القرآن الكريم يتخذ منهما مايخالف منهج كل منهما فلم يتعرض لتفاصيل جزئيات المسائل بل جُل مايهتم به موضوع العبرة فقط؛ وعليه فإن ماجبل عليه الإنسان من إستيفاء الأخبار جعل بعض الصحابة يرجعون في إستيفاء القصص من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهم، فيما ذهب إليه أهل هذا العلم، انظر الدراسة المستفيضة ص ١١١، ١١٣، ١٥١، ١٦١.

---

(١) انظر التفسير والمفسرون ٥٨/١.

«المفسرون من الصحابه»

ولكي لاتفوت الفائدة نرى أن نلقى بعض الضوء على من إشتهر بتفسير القرآن من الصحابه لنحرص جميعا على الإقتداء بمسلكهم في مجال خدمة القرآن العظيم.

ولقد عدد السيوطي في الإتقان من إشتهر بالتفسير من الصحابه وهم الخفاء الأربعة وابن عباس وابن مسعود وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسي الأشعرى وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وجزاهم عنا أعظم الجزاء.

وهاك تعريف مجمل لكل منهم مشيراً إلى مصادر ترجمته مقتصراً على أربعة فقط وذلك لكثرة الرواية عنهم في التفسير.

١ ــ على بن أبي طالب :

هو علي بن أبي طالب أمير المؤمنين أبو الحسن قاضي الأمة وفارس الإسلام جاهد في الله حق جهاده نهض بأخبار العلم والعمل أول من أسلم من الأحداث وقصة إسلامه معروفة أستشهد في سنة ٤٠ هـ.[١]

٢ ــ عبدالله بن عباس .

هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمي الإمام البحر حبر الأمة عالم العصر الأول ابن عم رسول الله ﷺ دعا له النبي ﷺ أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل ولد والنبي ﷺ وأهل بيته بشعب مكة فجاءوا به للنبي ﷺ فحنكه بريقه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات وتوفي سنة ٦٨ هـ.[٢]

---

(١) له ترجمة في: أسد الغابة ٤/٩١، الاصابة ٢/٥٠١، تاريخ بغداد ١/١٣٣، تذكرة الحفاظ ١/١٠، طبقات القراء ١/٥٤٦، النجوم الزاهره ١/١١٩.

(٢) له ترجمة في: أسد الغابة ٣/٢٩٠، الاصابة ١/٣٢٢، تاريخ بغداد ١/١٧٣، تذكرة الحفاظ ١/٤٠، طبقات القراء ١/٤٢٥، خلاصة تهذيب الكمال ص ١٧٣.

٣ ـــعبدالله بن مسعود .

هو عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي خادم النبي وأحد السابقين ومن كبار البدريين ومن النبلاء الفهاء المقرئين.
كان ممن تحرى في الآداء وتشدد في الرواية وكان من أوعية العلم وأئمة الهدى وهو أول من جهر بالقرآن بمكة المكرمة وأسمعه قريشا بعد رسول الله. توفي[١] سنة ٣٢هـ.

٤ ـــأبيّ بن كعب :

هو أبي بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصارى الخزرجي أقرأ الصحابه شهد بدراً والمشاهد وقرأ القرآن على النبي ﷺ. توفي سنة ١٩ هـ على الأكثر.[٢]

هؤلاء هم من قامت على كواهلهم المدارس التفسيرية فيما بعد .

حكم تفسير الصحابي :

إن تفسير الصحابي له حكم المرفوع إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول ولم يكن للرأي فيه مجال وخاصة فيما يتعلق بشئون اليوم الآخر فهذا مما لايجوز العدول عنه إلى غيره بأية حال.
وأما ما حكم عليه بالوقف فالأولى الأخذ به والرجوع إليه لظن سماعه له من رسول الله ﷺ حتى ولو كان التفسير برأية فالتعويل عليه أولى[٣].

خصائص التفسير في العصر الأول :

أولاً :لم يفسر القرآن جميعه وإنما فسر بعض منه كما أوضحنا (وما يجب الخلاف ذلك).

---

(١) له ترجمة في: أسد الغابة ٣/٢٨٤، الإصابة ٢/٢٦٠، تاريخ بغداد ١/١٤٧، تذكرة الحفاظ ١/٣١.

(٢) له ترجمه في: أسد الغابة ١/٦١، الاصابة ١/٣١، تذكرة الحفاظ ١/١٦، طبقات القراء ١/٣١.

(٣) انظر في ذلك تدريب الراوى ٦٤. ومعرفة علوم الحديث ١٩ والحديث والمحدثون.

ثانيـــــاً :كانوا كثيراً مايكتفون بالمعنى الإجمالي.
ثالثـــــاً :إعتمادهم على التلقى والتلقين.
رابعـــــاً :ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهيه.
خامساً :عدم التدوين إلا ماكان من صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص فيما سنورده فيما هو آت.
سادساً :إدماج التفسير مع الحديث فلقد كان جزءاً منه وفرعاً من فروعه.

مصادر التفسير في العصر الثاني (عصر التابعين)

بعد إنقضاء المرحلة الأولى للتفسير على ماذكرنا ولتظل الحلقة مترابطة في بيان إيضاح ماعمى من معنى القرآن تبدأ المرحلة الثانية للتفسير على يد التابعين الذين تتلمذوا للصحابة فنقلوا غالب معلوماتهم عنهم في إستجلاء بعض ماخفي من كتاب الله سبحانه وتعالى حتى يتسنى لهم إيضاحه لمعاصريهم.

ولقد كان جل إعتمادهم في بيان ذلك على مابين القرآن الكريم القرآن. وعلى ماروى عن الصحابة عن رسول الله ﷺ أو عن أنفسهم.

وعلى ماأخذوه من أهل الكتاب، ومايلهمهم الحق سبحانه وتعالي من فتوحه عليهم من طريق الإجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى.

بيد أن الأمر لم يقف عند هذا فلقد روت كتب التفسير كثيراً من أقوال أصحاب هذه المرحلة من التابعين قالوها بطريق الرأى والإجتهاد. فيما لم يصل إلى علمهم فيه شيء عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم.

ومن المعلوم أن النبي لم يبين كل معاني القرآن الكريم وألفاظه وإنما كان المُبين منه ﷺ ماإحتاج إلى بيان أو ماعمى فهمه كما أوضحنا سابقاً ماذهبنا إليه في هذا المجال من خلال ماأرتآه شيخ الإسلام ابن تيميه.

وعليه فلقد كانت حاجة المشتغلين بالتفسير من التابعين أن يكملوا مااحتاج إلى بيان فزادوا في التفسير بمقدار الحاجة معتمدين على ماذكرنا سابقاً.

وما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في نزول القرآن الكريم وعلى ماعرفوه من لغة العرب.

ومن المعلوم أن الصحابة لم يستقروا جميعا في بلد واحد بل تفرقوا إلي

الأمصار موزعين على جميعها ولقد حملوا معهم إلي هذه الأمصار التي رحلوا إليها ماوعوه من العلم مما حفظوه عن رسول الله ﷺ فجلس إليهم كثير من التابعين ـ في هذه الأمصار ـ يأخذون العلم عنهم وينقلونه لمن بعدهم فقامت في هذه الأمصار المختلفة مدارس علمية على يد الصحابة تتلمذ فيها كثير من التابعين.

مدارس التفسير في عصر التابعين :

أشهر هذه المدارس في مبلغ علمنا ثلاث المدرسة المكيه والمدنية؛ والكوفيه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه (أما التفسير فأعلم الناس به أهل مكه لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبى رباح وعكرمه مولى ابن عباس وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاووس وابي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم.

وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ومن ذلك ماتميزوا به عن غيرهم.

وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير وأخذ عنه ابنه عبد الرحمن وأخذه عن عبد الرحمن عبد الله بن وهب[1].

وهاك بعض الإيضاح لذلك.

أولاً :مدرسة التفسير بمكة المكرمة :

لقد قامت هذه المدرسة على يد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ومن أشهر من تتلمذ عليه سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمه وطاووس بن كيسان اليماني وعطاء بن رباح.

ثانيـــاً :مدرسة التفسير بالمدينة :

قامت هذه المدرسة على يد أُبي بن كعب الذي يعد أشهر من تتلمذ عليه كثير من التابعين بالمدينة رغم وجود عدد ليس بقليل

(١) مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ٣٤٧/١٣ مقدمة التفسير.

فيها من الصحابه وذلك لكثرة ماروى عنه في التفسير وأشهر من تتلمذ عليه زيد بن أسلم وأبو العاليه ومحمد بن كعب القرظي.

ثالثـــاً :مدرسة التفسير بالكوفة :

قامت هذه المدرسة على يد عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فهو الذي أرسله أمير المؤمنين عمر معلما ووزيرا لعمار بن ياسر حين ولاه على الكوفة وكان لهذه المدرسة مالم يكن لسابقيها فلقد تأثر أهل العراق بما وضعه ابن مسعود من استدلالات عقليه فيما يرى العلماء.

وكان من نتاج ذلك ان كثر تفسير القرآن الكريم بالرأى والاجتهاد واشهر من تتلمذ عليه علقمه بن قيس ومسروق والأسود وبن يزيد ومره الهمزاني وعامر الشعبى والحسن البصرى وقتادة ابن دعامه السدوسي.

قيمة التفسير المأثور عن التابعين

لقد ذهب أكثر المفسرين إلى أنه يؤخذ بقول التابعي في التفسير لأن التابعين نقلوا أغلب تفسيراتهم عن الصحابة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه (اذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السُنه ولا وجدته عن الصحابه فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبير فإنه كان آية في التفسير وكسعيد بن جبير وعكرمه مولي ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصرى ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب وأبي العالية والربيع بن أنس وقتاده والضحاك ابن مزاحم وغيرهم من التابعين ... ثم يقول قال شعبة بن الحجاج وغيره (أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعنى أنها لاتكون حجة على غيرهم ممن خالفهم. وهذا صحيح.

أما إذا أجمعوا على شيء فلا يرتاب في كونه صحيحا[1].

خصائص التفسير في هذا العصر :

أولاً :دخل في التفسير كثير من الإسرائيليات وذلك لكثرة من دخل في الإسلام من أهل الكتاب.

ثانيـــاً :احتفظ التفسير بطابع التلقى والتلقين.
بيد أن هناك خلافا واضحا بينه وبين سابقة حيث غلب عليهم طابع الإختصاص فأهل كل مصر يعنون برواية مصلحهم من الصحابة أصحاب المدارس.

ثالثـــاً :ظهور المذاهب التي أظهر كل من انتمى إلى مذهب تفسيرات تؤيد مذهبه.

رابعـــاً :ازداد الخلاف بين التابعين في التفسير على غير ماكان عليه الصحابه.

---

(١) مجموعة فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ١٣/٣٦٨ ٣٧٠ مقدمة التفسير.

مراحل التفسير

من المعلوم أن التفسير مرّ بمراحل من عصره الأول إلى العصر الحديث نوجزها فيما يلي:

أولهـــا :التلقي والتلقين.
فالصحابه رضى الله عنهم يروون عن رسول الله ﷺ كما يروى بعضهم عن بعض والتابعون يروون عن الصحابة كما يروى بعضهم عن بعض بطريق الرواية. كان ذلك في عصر النبي والصحابة ومن عاصرهم من التابعين.

ثانيهـا :حين ابتدأ التدوين للحديث الشريف فكان يجمع التفسير على أنه باب من أبوابه.

ثالثهـا :انفصل التفسير عن الحديث ووضع التفسير لكل آيه من القرآن ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف وتم ذلك على يد طائفة من العلماء وقد اختلف أصحاب التراجم في أول من فسَّر القرآن بطريق الترتيب المصحفى للرسم العثماني فنجد ابن النديم يقول (كان السبب في املاء كتاب الفراء في المعاني أن عمر بن بكير كان من أصحابه وكان منقطعا إلى الحسن بن سهل فكتب إلى الفراء أن الأمير الحسن بن سهل ربما سألنى عن الشيء بعد الشيء من القرآن فلا يحضرني فيه جوابا، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً أو تجعل في ذلك كتابا أرجع إليه فعلت، فقال الفراء لأصحابه اجتمعوا حتى أملى عليكم كتابا في القرآن وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم وكان في المسجد رجلا يؤذن ويقرأ بالناس في الصلاة فإلتفت إليه الفراء فقال له: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسرها. ثم نوفي الكتاب كله، فقرأ

الرجل ويفسر الفراء. قال أبو العباس : لم يعمل أحد قبله مثله ولا أحسب أن أحداً يزيد عليه[1]

فهل نستطيع أن نستخلص من ذلك أن الفراء المتوفي سنة ٢٠٧ هـ أول من دون تفسيرا جامعاً لآيات القرآن حسب الترتيب المصحفي للرسم العثماني.

لا . لانستطيع ذلك حيث أننا نجد في تهذيب التهذيب لابن حجر عندما ترجم لعطاء ابن دينار المصرى يقول: عن أحمد بن صالح. عطاء بن دينار من ثقات المصريين وتفسيره فيما يروى عن سعيد بن جبير صحيفة وليس له دلاله على أنه سمع من سعيد بن جبير.

وقال أبو حاتم: صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان وكان عبد الملك ابن مروان المتوفي سنة ٨٦ هـ سأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بهذا التفسير فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير[2].

ولعل هذا أوضح من سابقة في أنه قد كتب سعيد بن جبير تفسيراً لعبد الملك بن مروان المتوفي سنة ٨٦ هـ وعليه فإننا نأخذ بالمتقدم.

وأيضاً فقد قيل أن ابن ماجه المتوفي سنة ٢٧٣هـ قد دون تفسيرا وأيضا معلوم ان بين يدينا جميعا كتاب الطبرى المتوفي سنة ٣١٠ هـ وهناك إيضاً لأبى بكر بن المنذر النيسابورى المتوفي سنة ٣١٨ هـ وغيره من أئمة هذا الشأن.

---

(١) أنظر الفهرست لابن النديم ص ٩٩.

(٢) تهذيب التهذيب ١٩٨/٧.

وكل هذه التفاسير مروية بالأسانيد إلى رسول الله ﷺ وإلى الصحابه والتابعين وليس فيها شيء من التفسير أكثر من المأثور.

بيد أن ابن جرير الطبرى قد وسع حيث ذكر الأقوال ثم وجهها ورجح بعضها على بعض واستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآيات القرآنيه[1].

ومما هو جدير بالذكر من خلال ماعرضناه أن التدوين لم يتم في المرحلة الأولى بين يدى النبي ﷺ. علماً بأنه لم يكن بين مرحلتى التدوين الكتابي والتلقى والتلقين الزمن ا لطويل كما اتضح لك مما عرضناه. وخاصة فيما يثبته المؤرخون من صحيفة عبدالله بين عمرو بن العاص التي تسمى الصادقة لأنه ليس بينه وبين رسول الله ﷺ فيها أحد. وهي موجودة في مسند الإمام أحمد[2].

رابعها :لقد وجد من تجاوز هذا فإختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين الأول دون أن ينسبوها لقائليها فالتبس الصحيح بالعليل وأصبح الأمر مشاعاً وأباح البعض لنفسه أن يورد أقوالاً من عند نفسه دونما أدنى تحر لصواب فيما يذكر ويتضح ذلك مما يرويه السيوطي من أن بعضهم ذكر في تفسير

---

(١) أنظر التفسير والمفسرون ١/١٤١.

(٢) أنظر مسند الامام أحمد تحقيق الأستاذ أحمد شاكر ص ٢٣٥ الجزء التاسع والجزئين العاشر والحادى عشر بكمالهما والثاني عشر إلى ص ٥١. وأنظر منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ص ١٩. وانظر الحديث والمحدثون ص ١٤٣ وفيه وروى ابن سعد عن مجاهد انه قال: رأيت عند عبد الله بن عمرو بن العاص صحيفة وسألته عنها فقال: هذه الصادقة فيها ماسمعت من رسول الله ﷺ ليس بينى وبينه فيها أحد.

غير المغضوب عليهم عشرة أقوال، مع أن تفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن رسول الله ﷺ[1].

ولقد رزئت أمه الإسلام من العصر العباسى إلى يومنا هذا بمن نميَّ هذا الخطر بجهود مضنية عاملا على اختلاط الفهم العقلي بالتفسير النقلى، وكان ذلك على هيئة محاولات من خلال تأثرهم بالمعارف المختلفة والعلوم المتنوعة والآراء المتشعبة والعقائد المتباينه حتى أصبح الناس ينظرون في بعض كتب التفسير فيجدون فيها كل شيء ماعدا التفسير.

هكذا تدرج التفسير وانتهجت الكتب المؤلفة هذا النهج، فإن كل من برع في فن يكاد يقصر تفسيره على مالدية من معارف فيما أجاد من فن.

ــ **فالنحوى :**

نراه يصب عظيم فكره في الإعراب بذكر مسائل الخلافات النحوية كالزجاج[2]، والواحدى[3] وابي حيان[4].

---

(١) الاتقان ٢/١٩٠.

(٢) هو ابراهيم بن السرى بن سهل أبو اسحاق الزجاج توفى سنه ٣١١ هـ من علماء العربية ومن أهل الفضل، حسن الاعتقاد.
وكتابه «معانى القرآن» من أجل الكتب في هذا الفن ــ فن العربية ــ يقول ابن النديم وقرأت على ظهر كتاب المعاني : بدأ أبو اسحاق املاء كتابه الموسوم بمعانى القرآن في صفر سنة ٢٨٥، واتمه في شهر ربيع الأول سنة ٣١١ هـ، وقد طبعته الهيئة العامه لشئون المطابع الأميرية بمصر».

(٣) هو على بن احمد بن محمد ابو الحسن الواحدى النيسابورى توفى ٤٦٨ هـ عالم العربية وصاحب المؤلفات النافعة، كان أوحد عصره في التفسير صنف في التفسير البسيط، والوسيط والوجيز.

(٤) هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حبان الأندلسى الغرناطى، عالم السيرفيه توفي سنة ٧٥٤ هـ وكتابه التفسير الكبير المسمى «بالبحرالمحيط» يعتبر من المراجع المهمة لمن يريد أن يقف على وجوه الاعراب لألفاظ القرآن الكريم، وقد طبع في ثمانى مجلد كبار.

ـــ والعقدى :

نراه لاهم له إلا أقوال الحكماء والفلاسفة في ذكر شبههم والرد عليها كالفخر الرازى[1].

ـــ والفقيـــــه :

نراه قد عنى بتقرير الأدلة الفقهية والرد على من يخالف مذهبه كالجصاص[2]، والقرطبى[3] والهراس[4].

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على فخر الدين ابو عبد الله القرشى البكرى التيمى توفى سنة ٦٠٦هـ المفسر المتكلم امام ثقة في العلوم العقلية صاحب المصنفات قال ابن الصلاح: (اخبرنى القطب الطوعانى مرتين أنه سمع الامام الفجر يقول يالتينى لم اشتغل بعلم الكلام وبكى) وكتابه التفسير الكبير يقع في ستة عشر مجلد ومطبوع ومتداول.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن على الرازى الشهير بالجصاص توفي سنة ٣٧٠، كان امام الحنفية في وقته له مصنفات كثيرة، وكتابه «أحكام القرآن» من أهم كتب التفسير الفقهى عند الحنفية والكتاب مطبوع في ثلاثة مجلدات.

(٣) هو محمد بن أحمد بن فرج القرطبى، أبو عبد الله توفى سنة ٦٧١ هـ من العلماء العاملين الزاهدين في الدنيا له مؤلفات كثيرة في أنواع المعرفة، وكتابه«الجامع لأحكام القرآن من أجل التفاسير وأعظمها نفعاً، وإن كان صاحبه ملكى المذهب إلا أنه لا يتعصب له، والكتاب طبع عدة طبعات في عشرين مجلد من الحجم الكبير.

(٤) هو عماد الدين أبو الحسن على بن محمد بن على الطبرى المعروف بالكياالهراس توفى سنة ٥٠٤ هـ من علماء الشافعية، وكتابة «أحكام القرآن» يعتبر من أهم كتب التفسير الفقهى عند الشافعية والكتاب مطبوع بتحقيق موسى محمد على والدكتور عزت عطية.

ــوالمؤرخ :

نراه لاشغل له إلا القصص وذكر أخبار عمن سلف كالثعلبي[١] والخازن[٢].

ــوالصوفــي :

نراه يقصد إلى ناحية الترغيب والترهيب وإستخراج المعاني الإشارية من الآيات القرآنيه بما يتفق مع مشاربه، كابن عربي[٣] وأبي عبد الرحمن السلمي[٤].

---

(١) هو احمد بن ابراهيم أبو اسحاق النسابورى الثعلبى توفى سنة ٤٢٧ كان أوحد زمانه في علم القرآن وكتابه «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» مخطوط بمكتبة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض.

(٢) هو على بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن خليل التيمى اشتهر بالخازن توفي سنة ٧٤١هـ كان من العلماء الأجلاء له المصنفات المفيدة وكتابه « لباب التأويل في معانى التنزيل» وقد اختصره من معالم التزيل البغوى، وأضاف إليه من تفاسير من تقدمه وقد ذكر ذلك في مقدمته والكتاب مطبوع في أربعة مجلدات.

(٣) هو أبو بكر مجد الدين محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمى الاندلسى المعروف بابن عربى بدون ادات تعريف تفريقا بينه وبين القاضى أبى بكر ابن العربى صاحب كتاب «أحكام القرآن» توفي سنة ٦٣٨هـ، شيخ الصوفية في وقته، ولشيخ الاسلام بن تيمية موقف منه لقوله بوحدة الوجود، والتفسير المنسوب إليه مطبوع في مجلدين، وطبع على هامش «عرائس البيان في حقائق القرآن للشيرازى والناس حيال نسبة التفسير إليه فريقان:

الأول: يعتقد أن هذا التفسير من عمل ابن عربى نفسه.

الثاني: يعتقد أن هذا التفسير من عمل عبد الرزاق القاشانى وانما نسب التفسير لابن عربى ترويجا له بين الناس، وأيد هذا القول الدكتور محمد حسين الذهبى.

(٤) هو ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدى السلمى توفى سنة ٤١٢ هـ شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان، خلف من الكتب مايزيد على المائة، وكان على جانب كبير من العلم بالحديث، وتفسيره «حقائق التفسير» يقع في مجلد واحد كبير الحجم وهو مخطوط بمكتبه الأزهري الشريف.

ـ والبــدعى[1]:
نراه ليس له مأرب إلا أن يؤول كلام الله وينزله على مذهبه الفاسد كالرماني[2] والطبرسي[3].

ـ الإجتماعي :
غلب هذا اللون على التفسير في عصرنا الحضار وهفا إليه الناس أفراداً وجماعات لما شفى من نفوسهم أمراضا أحدثتها أدوات المادية الخبيثة وذلك يتضح جليا فيما قام به الأستاذ الشهيد سيد قطب[4] في ظلال القرآن.

فلقد حاول أن يعيد أمة الإسلام إلى اعمال القرآن الكريم في مناحى حياتها الدنيوية ليعبروا به آمنين إلى آخرتهم، بعبارة أدبية رائعة تأخذ بتلابيب المرء وتملك عليه فؤاده ومشاعره.

---

(١) انظر التفسير والمفسرون ١٤٦/١ ومجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه ٣٥٤/١٣: ٣٦٢ وأيضاً ٣٨٥/١٣: ٣٨٨ مقدمة التفسير.

(٢) هو على بن عيسى بن على بن عبد الله أبو الحسن الرمانى النحوى توفى سنة ٣٨٤ هـ ويعرف بالاخشيدي والوراق، وهو بالرمانى أشهر معتزلى الف التفسير وغيره.

(٣) هو أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى توفى سنة ٥٣٨ هـ من علماء الشيعة وهو في أغلب الأحيان يحاول أن يطوع أيات القرآن الكريم لمذهبه، وكتابه مجمع البيان في تفسير القرآن» من الكتب التي تمثل المذهب والكتاب مطبوع في عشرة مجلدات.

(٤) هو رائد هذا اللون من التفسير، وهو عالم معاصر جاهد في سبيل عقيدته استشهد عام ١٩٦٦م وكتابه في ظلال القرآن أشهر من أن تحيط به هذه النبذه وقد طبع في ستة مجلدات كبار.

وكذا ما فعله الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسرى[1] في صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم فيما جمعه من معلومات لاغنى لأى منتسب إلى الاسلام عن معرفتها خاصة في هذا الوقت الذي تتلاطم فيه أمواج المفسدين على الناس حياتهم بتياراتهم الإلحادية التي لا تفتر صباح مساءَ في طرق آذان الشباب أعاذنا الله والشباب من فتنها كما نتضرع إلى الحق سبحانه وتعالي أن يهيء من يتمم مابدأه الشيخ الدوسرى عليه رحمة الله.

ـ الكونــــي :

عرف هذا اللون عند العلماء باسم التفسير العلمي أو تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم وأخطر مافي هذا اللون التسرع في تأييد النظريات التي لم تثبت يقينا بل ويتطرف البعض فيعمد إلى ليّ عنق الآيه القرآنية ليؤيد بها نظرية ما وهذا هو الخطر في هذا الجانب.

ومع هذا فلقد كثر كلام الناس في هذا اللون قديما وحديثاً نرى من الأهمية بمكان أن نلقى الضوء عليه من خلال المؤيدين والمعارضين له مع بيان مدى الإستفادة منه في هذه العصور عصور التقدم العلمي والتكنولوجيا خاصة وأنه قد ثبت أن في القرآن مايقرب من ٧٥٠ آيه صريحة في علوم الكونيّات.

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله الفهد آل نادر الدوسرى من علماء نجد وفضلائهم، توفى سنة ١٣٩٩هـ، وكتابه «صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن الكريم» وصل فيه إلى أواخر سورة المائدة ولم يطبع منه سوى ثلاثة مجلدات حتى الآن.

تفسير الآيات الكونية بين المؤيدين والمعارضين

قبل إستعراض الآراء نرى أنه من الأنسب أن نوضح القضية فنقول :
ما سبب ذكر الكونيات في القرآن؟

يجيب على هذا التساؤل الدكتور عبد الفتاح سلامه فيقول :

١ ـ إقامة الحجة على الخلق بذكر أيات الله في الآفاق والأرض والأنفس لتكون أدلة ملموسة وبراهين محسوسة على وحدانية الله سبحانه وعلى وجوب إفراد العبادة وإخلاصها له جل جلاله.

٢ ـ تحريك الآذان أن تتوثب لإلتماس المزيد من آيات الله للبحث في أسرار الكون وطبائع المادة[١].

اذا كان هذا من أسباب ذكر الكونيات في القرآن فما المقصود بالتفسير الكوني؟.

عرف لون من التفسير عند العلماء بإسم التفسير العلمي للقرآن الكريم أو تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم وهذا اللون من ألوان التفسير كان عرضة للأخذ والرد ... بين مؤيدين ومعارضين ..

وقبل أن نستعرض نماذج المؤيدين والمعارضين لهذا اللون نقدم تعاريف العلماء لهذا اللون فنقول :

إن الذين إتجهوا إلى تعريفة كادوا أن يتفقوا على معنى واحد لتعريفة، وبإستعراض بعض التعاريف نجد أن العلامة الدكتور عبد العظيم الغباشي ـ رحمه الله ـ يعرفه قائلا :

(هو التفسير الذي تخضع فيه ألفاظ القرآن للاصطلاحات العلمية ويستخرج منها سائر العلوم والآراء الفلسفية)[٢].

---

(١) النص القرآني بين التفسير والتأويل للدكتور عبد الفتاح إبراهيم سلامة ص ٣٩٥.

(٢) مذكرة في علوم القرآن للدكتور عبد العظيم الغباشي ص ١١٦.

وعرفه الشيخ أمين الخولي ـــ رحمه الله ـــ بقوله :
(هو التفسير الذي يحمل الإصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها[1].

وعرفه الدكتور محمد حسين الذهبى ـــ رحمه الله ـــ بقوله :ـــ
(معنى التفسير العلمي : التفسير الذي يحمل الإصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في إستخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها)[2].

وعرفه الدكتور حموده محمد داود سند بقوله :
(أرى أن من أنسب التعاريف لهذا النوع من التفسير أن يقال: هو إستعانه المفسر بالحقائق العلمية التي هدى الله إليها البشر في ترجيح أحد محتملات النص أو السياق الكريم وبيان جهة الإعجاز فيه[3].

وعرفه الدكتور عبد الفتاح إبراهيم سلامه بقوله :
نعنى بالتفسير العلمي أن يقوم المفسر بشرح بعض التفصيلات العلمية بشىء ذكره القرآن وذكر آيات الله فيه وفهم الذين إستمعوا القرآن من رسول الله ﷺ نعمة الله فيما ذكر على سبيل الإجمال ونفصل هذا الإجمال بمثال شارح ... قال الله تبارك وتعالي ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين (آيه ٦٦من سورة النحل) فالله سبحانه وتعالي: يمن على عباده بهذا اللبن السائغ وكل من سمع هذه الآية وقت نزولها من مؤمن أو كافر لايشك في فائدة هذا اللبن ثم جاء عصرنا بأجهزته ومعامله ومختبراته فتمكن من أن يعرف مقدار الدهن الذي في اللبن وماذا فيه من سكريات وماذا فيه من فيتامينات وماماثل ذلك بالكميات المحدودة والمقادير المفصلة.

---

(١) مناهج تجديد للشيخ أمين الخولى ص ٢٨٧.

(٢) التفسير والمفسرون جـ ٢ ص ٤٧٢.

(٣) تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة ص ١٥٤.

فهل يكون ذكر هذه المعارف حول هذه الآية الكريمة إلا إظهاراً لأسرار آيات الله في الخلق، وبيانا لمزيد فضله على عباده، ورداً على بعض المولعين بتقدم العلوم في عصرهم فهذا مانعنيه بالتفسير العلمي، والفرق بين بيان الإعجاز العلمي في الآيه وبين تفسيرها تفسيراً علمياً،
أن الأول : هو كشف المغطي والثاني : هو تفسير المجمل[1].

بعد أن ذكرنا تلك التعريفات لهذا النوع من ألوان التفسير يتضح لنا أن التعريفين الأخيرين أقرب وأوضح للمراد من هذا اللون. وكفاهما دلالة أنهما يجعلان حدوث أي خطأ بعيداً عن أن ينسب إلى القرآن، لأن لفظه وأسلوبه يحتملان الكثير، ومن ثم فإذا حدث خطأ فإنه لاينسب إلا إلى المؤول الذي رجح أحد المحتملات على غيرها وذلك لأنه لم يتزود بالزاد الذي يبلغة المراد.

وعليه فلا خوف على القرآن الكريم من ذلك، وهذا الذي جعلنا نؤيد هذين التعريفين.

وإلى الذين أنكروا هذا اللون من التفسير يجول في ذهننا دائما سؤال ـــ لا أدرى ألهم إجابة عليه أم سيجاب عليه من استطلاع الآراء، وإذا كان لنا أن نسأل فنقول:

ماموقف المنكرين لهذا اللون من التفسير للآيات الكونية في القرآن الكريم هل ليس لها وجود؟ أم أنها معطلة عن أن تدرك؟.

بعد هذا التساؤل الذي أردنا طرحه نستطيع أن نقول: لقد ذكر القرآن الكريم العديد من الآيات الكونية ولذا نجد العلامة الشيخ طنطاوى جوهري يتسائل قائلاً:

فلماذا كثر التأليف في علم الفقه وقل جداً في علوم الكائنات التي لم تخل منها سورة بل هى تبلغ ٧٥٠ أيه صريحة .. وهناك آيات أخرى دلالتها

---

(١) النص القرآني بين التفسير والتأويل ص ٤٦٥.٥ ص ٤٦٥.

تقرب من الصراحة. فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم آيات قليله ويجهلون علما آياته كثيرة جداً (ويقصد بالآيات القليلة أيات الفقه ــ إذ يقول : وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات قلائل لاتصل مائتين وخمسين آية، ويقول: إن آباءنا برعوا في الفقه فلنبرع نحن الآن في علوم الكائنات[1].

ولعل الشيخ ــ رحمه الله ــ يريد أن تكون هذه الآيات لتحرك العقول ولتستلفت الأنظار إلى آيات الله في الكون كله وإذا كان لنا أن ندلل على ذلك فإننا نقول مطمئنين ان مزج العلوم الكونية بتأويل القرآن الكريم قديمة قدم التاريخ الإسلامي غير أن البعض من السابقين قد مسوا ذلك بحذر وبقدر ماعندهم من العلوم أو المعارف آنذاك، وخيل إليهم أنه لذلك فقط، ولذلك أنكروه.

ولعلنا نعلم أن لكل عصر مقاييسه ومعارفه الخاصة به ولايصح بأى حال من الأحوال أنحكم مقاييس عصر على عصر آخر، ولنكون موضوعيين فلابد علينا أن نقرر أن الخطأ في بعض التأويلات لهذا اللون واقع ملموس ولكنه لاينبغي أن يحملنا الخطأ عند البعض على إنكار الكل وفوق هذا نقول: أن هذا الخطأ علامة بارزة من علامات أعجاز القرآن لتيحقق قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[2].

وعلى ذلك نذهب إلى ماذهب إليه الدكتور عبد العظيم الغباشي إذ يقول: (أنه يتحتم على المفسر أن يساير أفكار الناس الذين يفسر لهم فيشرح الألفاظ القرآنية في الظواهر الطبيعية والعلمية وسنن الله الكونية وما يشبه ذلك بالطريقة العلمية المألوفة لهم، وما يلائم أذواقهم ومشاربهم وإلا فقد خاطبهم بما لا يفهمون)[3].

---

(١) الجواهر للشيخ طنطاوى جوهرى جـ ٢٥ ص ٥٥، ٥٦.
(٢) سورة الاسراء آية ٨٥.
(٣) علوم القرآن للدكتور عبد العظيم الغباشي ص ٥٧.

ولعلنا نذهب إلى أن هذا اللون هو لون من ألوان الإعجاز للقرآن الكريم، فإن كانت الدراسات الإسلامية هي تلك العلوم والمباحث المتصلة بالقرآن الكريم، وذلك مثل الحديث والتفسير والقراءات وأصول الفقه واللغة والتاريخ؟ تلك هي التي إضطر المسلمون إليها في حرصهم على فهم كتاب الله تعالى والوقوف على أسرار إعجازه في ملكه قلوب البشر.

ومن ثم فإنه من الطبيعى أن تكون المباحث المتعلقة بالإعجاز البياني للقرآن الكريم هي أول ما ظهر عند المسلمين، ولا تعجب إذا استمرت تلك المباحث تمثل حجر الزاوية في دراست المسلمين لإعجاز القرآن على مر العصور مع اختلاف معارفهم في التعبير عنه فإن ذلك كان أبرز صفات العرب من حيث بيانهم وبلوغهم الغاية، وعلى هذا كان التحدى في أول أمره بالنسبة لهم.

بعد هذا الإيضاح نستطيع أن ندرك أن هذا الذي ذكرناه لايمنع من مراعاة وجوه الإعجاز الأخرى، لأن الإعجاز في الحقيقة صفة للقرآن وليس صفة لقوم دون آخرين.

ومن ثم فهو باق بقاء الدهر يحمل صفة صدقة وعلمه وتحديه إلى كل الناس على اختلاف ثقافتهم وعصورهم.

ولذا ظهر مايسمى في عصرنا الحاضر «بالإعجاز العلمي» ولم يقف الأمر عند هذا الحد، لكن الكثيرين لايجعلونه ضربا من الإخبار بالغيب معلنين أنه كيف يكون ضربا من الغيب وهو لم يظهر إلا في القرون الأخيرة؟ ولكننا نجد الأستاذ حموده محمد داود سند قد ذكر هذا الرأي وفنده إذ يقول: (لكنه عند كثير ليس إلا ضربا من الأخبار بالغيب لأنه ــ كما يقولون ــ أخبر عن أشياء لم تظهر إلا في القرون الأخيرة وهو عندى لايخرج عن الإعجاز البياني لأن المكتشفات العلمية ماهي إلا سنن كونية خلق الله الكون عليها فهي موجوده من قبل نزول القرآن وإن لم يعرفها الناس أيام نزوله، فإذا تحدث القرآن عنها بما يفهمه العالمون ولايصدم معتقد غير العالمين

وأفهامهم، فذلك ضرب من البيان يعجز عن مثله الثقلان وفي اعتقادي أن ذلك هو مناط التحدى في هذا النوع[1].

ونترك الأستاذ حموده محمد داود سند في هذا العرض الطيب لنلتقى بالأستاذ عبد الفتاح ابراهيم سلامه في نجمه الثالث تحت عنوان «التأويلات العلمية من أبنائها وأمثالها» إذ يعقد لذلك حديثاً ممتعا يعلوه الفهم وتشدوا أركانه على العلم والمعروفة والتمحيص واني لمورد بعض المقتطفات من الموضوع لئلا يصبح اسهابا في غير موضعة فلقد قال تحت عنوان موقف أعداء الله من العلائق بين الإسلام والعلم اذ يقول :

(العلاقة بين القرآن والعلم قضية متجددة بدوام محاولات الفكر البشرى في فهم القرآن وتدبـر أسراره، والوقوف على بواطن اعجازه وتتبع لمرامي غايته، والباحثون في هذه القضية لهم عدة طوائف :

فطائفة تجحد القرآن وتناصبه العداء وهي بالتالي تريد في خبث خبيث أن تتسلم موجة المد العلمي في عصر فتن الناس فيه بمعجزات العلم وفتوحاته أيما فتون لإظهار العلاقة بين القرآن والعلم بأنها علاقة تناقض دائم وتنافر موصول وتريد افساد عقائد المسلمين وصرفهم عن دينهم بإسم العلم، وهم دائما يعزفون نغمة واحدة وهي التشكيك في آيات القرآن بإسم العلم وصرف الناس عن أحكامه بإسم (العلمانية).

ويرددون بأن عصر المحراب قد انتهى واستقبل الناس عهد المخترعات وغرف التشريح، وهذه الطائفة وإن اختلفت نزعاتها إلا أنها تتحد على غاية واحدة وهي محاربة القرآن بإسم العلم، ثم يأتى بفوائد تدل على مايقول، ثم يبين موقف التبشير والإستشراق من هذه القضية فيقول:

(إن الأحقاد التي حملتها الصليبية قديما وحديثا تجاه الإسلام جعلتها دائما وأبدا تحاول النيل من الإسلام وتسلك كل سبيل للقضاء عليه، ولقد سلك الأستعمار الصليبي سبيل الحرب والمؤامرة كما سلك عملاوءه

(١) تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة للأستاذ حمودة محمد داود ص ١٥٦.

وأذنايه سبيل بث الدسائس وزرع الفتن بين المسلمين أما أبواقه ودعاته فقد شنوا ــ ولايزالوان ــ حربا فكرية تستهدف صرف المسلمين عن دينهم) ثم يقول :

(واستهدفت الحملة الفكرية على الإسلام إلى زعزعة عقائد المسلمين في الإسلام بشتى السبل ومنها إدعاء مناقضة القرآن للعلم) ثم يقول:

(بعد هذه التوطئة بين يدى. الموضوع: نريد أن نزيد ظنونا عن بعض الأذهان وهاك تفصيلها :

١ ــ أن العلاقة بين القرآن. والعلم ليست ثغرة ينفذ منها المتسللون بل هى عند جلاء الحقيقة حصن يستعصى على كل المبطلين والمرجفين.

٢ ــ أننا لانريد كرد فعل للهجوم الظالم على الإسلام أن نصطنع علاقة موهومة بين القرآن والعلم.

٣ ــ أننا نرفض بكل مافي طاقتنا من رفض كل ابتداع في دين الله كما نكره شطط التأويلات كراهتنا لأن نقذف في النار.

٤ ــ أننا نكره الجمود الضرير الذي لايفهم الإسلام فهما كليا ولايسترشد بروح القرآن مع دلالات الفاظه.

ثم يقول :

اذا كان هذا هو موقف أعداء القرآن فما هو موقف أوليائه؟

فيقول: المؤمنون بالقرآن ازاء هذه القضية فريقان:

١ ــ فريق يرى أن ربط تفسير بعض آى القرآن الكريم بالنظريات العلمية الحديثة خطر يهدد قداسة القرآن، وأنه ضرب من شطط الفهم وتعسف التأويلات.

٢ ــ والفريق الآخر يعقد أوثق العلائق بين بعض آيات القرآن وبين الحقائق العلمية والنظريات العلمية، ويرى أن هذا النوع من التفسير يكشف

عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وهو الإعجاز العلمي، والقرآن لا تنقضي عجائبه.

وهذا الفريق في تفسيراته العلمية منه قاصد إلى الخير مقتصد ومنه فاسد الرأى مستبعد.

ثم يقول :
والموضوع ليس كما تبادر إلى كثير من الأذهان من المحدثات التي دخلت أفكار المسلمين، بل هو مطروح للبحث والنظر منذ أن حاول المسلمون فهم القرآن الكريم وتدبر أسراره، فصاحب العلم التفسير في نشأته مواكب له في خطواته..

ثم يعلن هذا عن أصول القضية :

(الكون بسمواته وأرضه : كتاب الله المشاهد، والشمس والقمر والنجوم والبحار والثمار والأشجار والدواب والأطيار كلها وغيرها صفحات في هذا الكون المشهود. والإنسان الذي كرمه الله وسخر له كثيراً من خلقه وجد نفسه حين خلق آدم هذا الكتاب الكونى فأخذ يقرأ صفحاته متدبراً ومتعجلاً فوعى بعضها وعجز عن البعض وفهم دقائق صفحات وبدت الأخرى أمامه من المعميات .. فطفق يعيد قراءة الصفحات التي لم تفض إليه بسرائرها .. وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، يحاول الإنسان أن يعى كل شيء وما هو بواع، وأن يبلغ علمه كل ماوقع عليه نظره، وماهو ببالغ من ذلك إلا مايسره الله له وأقدره عليه ..

والقرآن الكريم كتاب الله المتلو حدث الناس عن آيات رب العالمين في هذا الكون، واستدعى أنظارهم وأفكارهم فيسر الله لهم أن يفهموا من أسرار هذا الكتاب بقدر اخلاصهم وصدق عزائمهم وصفاء اذهانهم ورقة أحاسيسهم.

فالصلة بين الكتاب المشهود في صحائف الكون والكتاب المنزل المستودع في الصدور والسطور صلة وثيقة موثقة[1].

بعد هذا الإيضاح بين يدى هذا اللون من ألوان التفسير يبقى معنا أن نقول:
هل القرآن يدل على تلك العلوم التي ظهرت وتظهر في مختلف العصور كالطب والهيئة والطبيعة والهندسة والكيماء والاجتماع وما إلى ذلك؟ أو لايدل على ذلك؟
وما الذي يعنية القائلون بالاثبات والقائلون بالنفى من إثباتهم أو نفيهم؟
وتبعا لذلك فإننا بحول الله وقوته سوف نقسم الأقوال في ذلك إلى قسمين موضحين كل قسم بنموذج واحد لأول الأعلام الذين يرجع إليهم الخوض في هذا المجال .. وسنبدأ بالمؤيدين.

ثم بالمعارضين ..
ثم بما ينعم الله سبحانه وتعالى علينا
لايضاح ماقالوا .. ..

(١) النص القرآني بين التفسير والتأويل للأستاذ عبد الفتاح إبراهيم ص ٣٧٨ : ٣٨٥.

النموذج الأول

التفسير العلمي في أقوال المؤيدين

اذا ذهبنا نجوب آراء المؤيدين فإننا نجد أن أول المتكلمين في هذا في عصره وفي كل العصور هو الامام الغزالي ـــ ومن ثم فلقد ظن البعض بكلامه الظنون ثم مالبثوا إلا أن اقتدوا به فيما ظنوا، واذا نظرنا إليه فنجد ذلك واضحا في كتابه «جواهر القرآن» باعتباره الأكثر تفصيلا والآخر تأليفا وذلك إذ يقول بعد أن بين تشعب علوم اللغة والفقه والأصول من القرآن :

(ولعلك تقول إن العلوم وراء هذه كثيرة كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان وتشريح أعضائه وعلم السحر والطلسمات وغير ذلك، فإعلم أنه إنما أشرنا إلى العلوم الدينية التي لابد من وجود أصلها في العالم حتى يتيسر سلوك طريق الله تعالى والسفر إليه، أما هذه العلوم التي أشرت إليها فهي علوم ولكنها لايتوقف على معرفتها صلاح المعاش والميعاد فلذلك لم نذكرها، ووراء ماعددته علوم أخرى يعلم تراجمها ولايخلو العالم عمن يعرفها ولاحاجة إلى ذكرها بل أقول ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لايتمارى فيها أن في الامكان من القوة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج من الوجود وان كان في قوة الآدمى الوصول إليها وعلوم كانت قد خرجت إلى الوجود واندرست الآن فلم يوجد في هذه الأعصار على بسيط الأرض من يعرفها، وعلوم أخر ليس في قوة البشر أصلا إدراكها والاحاطة بها ويختص بها بعض الملائكة المقربين فإن الامكان في حق الآدمى محدود والامكان في حق الملك محدود إلى غاية في الكمال بالاضافة، كما أنه في حق البهيمة محدود إلى غاية في النقصان، وانما الله سبحانه وتعالى هو الذي لايتناهى العلم في حقه ويفارق علمنا علم الله الحق في شيئين :

أحدهما: إنتفاء النهاية عنه، بل هو بالوجود والخصوص فكل ممكن في حقه من الكمال فهو حاضر موجود، ثم هذه العلوم ماعددناه ومالم نعددها ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإن جميعها مقترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحر لاساحل له، وأن البحر لو مداداً لكلماته لنفذ البحر قبل أن تنفذ فمن أفعال الله وهو بحر الأفعال ــ مثلاً:

علم الطب :

الشفاء والمرض، كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾[1] وهذا الفعل الواحد لايعرفه إلا من عرف الطب بكماله، اذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض : كماله وعلاماته ومعرفة الشفاء وأسبابه.

علم الفلك :

ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان وقد قال الله تعالى ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾[2] وقال: ﴿وقدرناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾[3] وقال: ﴿وخسف القمر وجمع الشمس والقمر﴾[4] وقال: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾[5] وقال: ﴿والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾[6].

ولايعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان وخسوفهما وولوج الليل في النهار وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هيئات وتركيب السموات والأرض وهو علم برأسه.

(١) سورة الشعراء آية ٨٠.
(٢) سورة الرحمن آية ٥.
(٣) سورة يونس آيه ٥.
(٤) سورة القيامة آية ٨ ــ ٩.
(٥) سورة الحديد آية ٦.
(٦) سورة يس آيه ٣٨.

علم التشريح :

ولايعرف كمال معنى قوله ﴿ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك﴾[1] إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهرا وباطنا وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها. وقد أشار في القرآن في مواضع إليها وهي من علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين.

كيفية الخلق :

وكذلك لايعرف كمال معنى قوله ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى﴾[2] مالم يعلم التسوية والنفخ والروح ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق، وربما لايفهمونها إن سمعوها من العالم بها.

ولو ذهبت أفصل ماتدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ولاتمكن الإشارة الا إلى مجامعها، وقد أشرنا إليه حيث ذكرنا أن من جملة معرفة الله سبحانه وتعالى معرفة أفعاله فتلك الجملة تشتمل على هذه التفاصيل ...

وكذلك كل قسم أجملناه لو شعب لتشعب إلى تفاصيل كثيرة، فتفكر فيه والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله، وانما التفكر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله وهو البحر الذي لا شاطىء له)[3].

ذلك هو كلام الإمام الغزالى نقلته بتمامه لكى أعطى صورة صحيحة لما يهدف إليه ولعل أول مالاحظته من مطالعتى لنصه أنه ينعت العلوم الكونية بأنها علوم لايتوقف على معرفتها صلاح المعاش والميعاد، ولكننا إن تتبعنا النص يتضح لنا خلاف ذلك في قوله (ثم هذه العلوم ماعددناها ومالم

---

(١) سورة الانفطار آية ٦ ــ ٨.

(٢) سورة ص الآية ٧٢.

(٣) جواهر القرآن لحجة الاسلام الامام الغزالى ص ٢٥ ــ ٢٨.

نعددها ليست أوائلها خارجة عن القرآن ويقول أيضاً في النهاية فتفكر في القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الأولين والآخرين وجملة أوائله، وانما التفكر فيه للتوصل من جملته إلى تفصيله.

وكأني بالإمام يريد من ذلك أن يصل الإنسان من تفكيره في تلك العلوم من القرآن إلى طلب تفصيلها حتى يتحقق له كمال معنى الآية، وكيف أن تلك الأفعال لاتنسب إلا إلى الله سبحانه وتعالى، والإمام بهذا ينقد قولته الأولى (لايتوقف على معرفتها صلاح المعاش والميعاد).

أعتقد بعد هذا العرض اذا أردنا حينئذ أن نقول كلمة فما علينا إلا أن نقول: أن الامام يريد لنا أن نفهم القرآن فهما علميا وأن نستعين على ذلك بالعلم في مختلف فروعه على فهم آياته حتى يكون فهمنا لها صحيحا ليزداد ايماننا.

النموذج الثاني

التفسير العلمى للقرآن في أقوال المعارضين

مبلغ علمى أن أول المتحدثين في هذا هو الإمام أبو اسحاق الشاطبى فلقد تحدث في كتابه «الموافقات في أصول الأحكام في الجزء الثاني» ولقد جمع في قوله بين المنقول والمعقول، وسنسوق من أقواله مايوضح فكرته بتمامها وان كان لنا قول فسيكون بعون الله بعد عرض وجهة نظره عن كل جزئية.

إذا يقول في كتابه «الموافقات في أصول الشريعة» :

«هذه الشريعة المباركة أمية، لأن أهلها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح ويدل على ذلك أمور :

أحدها: النصوص المتواترة اللفظ والمعنى كقوله تعالى ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم﴾[1] وقوله ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذي يؤمن بالله وكلماته﴾[2] وفي الحديث «بعثتُ إلى أمة أمية»[3] لأنهم لم يكن لهم علم بعلوم الأقدمين، والأمى منسوب إلى الأم وهو الباقى على أصل ولادة الأم لم يتعلم كتابا ولا غيره ..

فهو أصل خلقته التي ولد عليها، وفي الحديث «نحن أمة أمية لانحسب ولانكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا»[4].

---

(١) سورة الجمعة آية ٢.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٨.

(٣) أخرجه الترمذى كتاب القراءات باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ١٩٤/٥، ١٩٥.

(٤) أخرجه البخارى كتاب الصوم قول النبي ﷺ لانكتب ولانحسب ٣٥/٣.

وقد فسر معنى الأمية في الحديث أي ليس لنا علم بالحساب والكتاب ونحو قوله تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾[1] وما أشبه هذا من الأدلة المبثوثة في الكتاب والسنة الدالة على أن الشريعة موضوعة على وصف الأمية لأن أهلها كذلك.

والثاني: أن الشريعة التي بعث بها النبي الأمي ﷺ إلى العرب خصوصا وإلى من سواهم عموماً إما أن تكون على نسبة ماهم عليه من وصف الأمية أولاً فإن كان كذلك فهو معنى كونها أمية أى منسوبة إلى الأميين، وان لم تكن كذلك لزم أن تكون على غير ماعهدوا فلم تكن لتنزل على أنفسهم منزلة ماتعهد وذلك خلاف ماوضع عليه الأمر فيها، فلابد أن تكون على مايعهدون، والعرب لم تعهد إلا ماوصفها الله به من الأمية، فالشريعة إذن أمية.

والثالث: أنه لو لم يكن على مايعهدون لم يكن عندهم معجزا ولا كانوا يخرجون عن مقتضى التعجيز بقولهم، هذا على غير ماعهدنا اذ ليس لنا عهد بمثل هذا الكلام من حيث أن كلامنا معروف مفهوم عندنا، وهذا ليس بمفهوم ولامعروف فلم تقم الحجة عليهم به)[2].

واذا كان لنا أن نقف مع الإمام فإننا نعترف للشيخ بجلال القدر وعظيم الشأن وواسع العلم ومع هذا فلنا وقفة معه وندع المجال لأستاذين جليلين فقد تكفلا بالرد على العلامة الشاطبى.

ونبدأ بالدكتور عبد الفتاح ابراهيم سلامة اذ يقول :

«إن قوله بأمية الشريعة لانسيغة لفظا ولانهضمة معنى، لقد طرح إمامنا بهذه المقوله مقدمتين هما: أمية الرسول وأمية الأمة ورتب عليها النتيجة وهي أمية الشريعة والمقدمتان لاتقضيان إلى هذه النتيجة .. لماذا؟

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٨.

(٢) الموافقات في أصول الشريعة لأبى اسحاق الشاطبى جـ ٢ ص ٦٩ — ٧١.

ـ أن الرسول ﷺ ليس مصدر هذه الشريعة حتى اذا كان أميا كانت الشريعة بالتالي أمية.

ـ وأن الأمة الإسلامية الأمية جاءت الرسالة لتنتشلها من هذه الأمية بجميع أنواعها لا لتكون أمية مثلها .. وشتان بين أمية الرسول وأمية الأمة. فأمية الرسول ﷺ آية من آيات الله على صدق رسالته وهي وصف للحالة التي كان عليها قبل البعثة ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ومايجحد بآياتنا إلا الظالمون﴾ (سورة العنكبوت الآية ٤٨ ، ٤٩).

وأما أمية العرب فالآية تشير إلى مجيء القرآن لتبديدها بنوره وعلمه الهادي ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم﴾ .. لماذا؟
ليرسخ وضع الأمية فيهم ويأتيهم بما يناسب أمياتهم؟ أم كما قالت بقية الآيه ﴿يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (سورة الجمعة آية ٢).
فالآية الكريمة تبين مهمة الرسول من الأميين وهي :
١ ـ ازالة أمية العقل عنهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾.
٢ ـ يمحو عن قلوبهم أميتها ودين الجاهلية ﴿ويزكيهم﴾.
٣ ـ ويبدد شرائع الجاهلية بتفصيل الحق ﴿ويعلمهم الكتاب﴾.
٤ ـ ويقيم لهم الميزان، ليستقيم حكمهم على الأمور ويسلك الرشد ويعرف السداد وتلك هي ﴿الحكمة﴾.

وإن كان هؤلاء الأميون بفعل الأميات والجهالات من قبل هذا القرآن المبين ﴿لفي ضلال مبين﴾[١].

ويقول الأستاذ حموده محمد داود سند أيضاً في الرد على الإمام الشاطبي: «يزعم الشاطبي في هذه الجملة من القول أن الشريعة أمية لأن أهلها أميون .. وساق مؤيدا زعمه مارأيناه من النصوص وهو زعم متهافت لاينهض ماساقة دليلاً عليه، بل ان فيه ماهو دليل على خلافه

(١) النص القرآني بين التفسير والتأويل ص ٢٩٨، ٢٩٩.

كآية الأعراف فإن تمامها ﴿قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له مالك السموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذي يؤمن بالله وكلماته وأتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (آيه ١٥٨) فأول الآيه الذي تركه يشهد بأن رسالة الرسول عامة لجميع الناس عربا كانوا أم غير عرب. فلماذا توصف الشريعة بصفة العرب دون غيرهم؟ وهناك في القرآن كثير من الآيات التي تفيد عموم الرسالة إلى الناس في كل زمان ومكان، فالحكمة بأن الشريعة نزلت على مايعهده العرب دون غيرهم تحكم بلا دليل وحجة بلا برهان، وقد رد على الدليلين بما قاله فضيلة الشيخ محمد الصادق عرجون اذ يقول :

ونحن حين نناقش هذا الدليل نعكسه على الإمام الشاطبى فنقول ان الشريعة التي بعث بها النبي ﷺ إلى الانسانية كلها في أممها وشعوبها من العلم والمعرفة الحاصلة والمتجددة إلى يوم القيامة أو لا تكون كذلك؟.

فإن كانت على نسبة ماعليه الإنسانية المبعوث إليها رسول الله محمد ﷺ من حصائل الفكر الإنساني في العلم والمعرفة ومايكون لها في مستقبل حياته من التفكير العلمى المستكشف لحقائق الكون وأسرار الطبيعة، وذلك هو معنى كونها شريعة علمية أي منسوبة إلى العلم والمعرفة على معنى أن كتابها الذي هو دستورها الأعظم فتح للعقل الإنساني مجالات البحث والتفكير ويحث على العلم والمعرفة بما لم يبلغه كتاب سواه، وإن لم تكن شريعة الإسلام على نسبة ماعليه الإنسانية ومايكون لها في مستقبل حياتها من العلم والمعرفة، لزم أن تكون هذه الشريعة على غير ماتعهد الإنسانية وماتعرف من تاريخها العلمى وأطوارها الفكرية في المعرفة، فلم تكن لتنزل من أرقى الأمم والشعوب العالمية التي تعنى بالمعرفة وحصيلة الفكر الإنساني المتجددة منزلة ماعهدوا، وذلك ماجاءت به الشريعة ووضح عليه أمرها فلابد أن تكون على ماتعهد الإنسانية وتعرف من واقعها وتاريخها العلمي.

فالشريعة اذن علمية لاتقف أبدا دون البحث العلمى ولا تأبي أن تؤاخى العلم والمعرفة، وهي بهذا تنافي الأمية في طبيعتها وحقيقتها ..

إلى أن يقول: أن ماساقه الشاطبى من الآيات خاص بأسلوب القرآن وعباراته وألفاظه .. وأن المراد بها الإحتجاج على العرب بأن التحدى وقع بكتاب عربي مبين فلو نزل بأسلوب وعبارات غير عربية لقالوا دفعا لحجيته عليهم: لولا نزل بلساننا وعباراتنا فإذا عانهم لحجيته انما كان باعتبار الأسلوب والألفاظ والعبارة لاباعتبار معلمه وفنون هدايته وأفكاره وعلومه ومعارفة لأن كثيرا من هذه المعاني والأفكار لم يكن من معهود العرب ومعارفهم.[1].

عودة إلى الشاطبى اذ يقول :

وأعلم أن العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس وكان لعقلائهم اعتناء بمكارم الأخلاق واتصاف بمحاسن الشيم ..

فصححت الشريعة منها ماهو صحيح وزادت عليه وأبطلت ماهو باطل وبينت منافع ماينفع من ذلك ومضار مايضر منه فمن علومها علم النجوم ومايختص بها من الاهتداء في البر والبحر واختلاف الأزمان باختلاف سيرها..

ومنها علم الأنواء، وأوقات نزول المطر، وانشاء السحاب، وهبوب الرياح المثيرة له بين الشارع حقها من باطلها ..

ومنها علم التاريخ، وأخبار الأمم الماضية، وفي القرآن من ذلك ماهو كثير وكذلك في السُنة ولكن القرآن احتفل في ذلك وأكثره من الاخبار بالغيوب التي لم يكن للعرب بها علم، لكنها من جنس ماكانوا ينتحلون ...

ومنها ماكان أكثره باطلا أو جميعه كعلم القيامة والزجر، والكهانة وخط الرمل والضرب بالحصى والطيرة فأبطلت الشريعة من ذلك الباطل ونهت عنه.

ومنها علم الطب فقد كان في العرب منه شيء لاعلى ماعند الأوائل بل مأخوذ من تجارب الأميين غير مبنى على علوم الطبيعة التي يقرها الأقدمون[2].

---

(١) انظر تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة ص ١٨٠ ــ ١٨٣ بتصرف.

(٢) الموافقات جـ ٢ ص ٧١ ــ ٧٤ بتصرف.

هذا هو ماأورده الامام الشاطبى .. وبنظرة سريعة نستطيع أن نحدد أنه فوجىء بواقع الآيات الكونية في القرآن فحاول حسبما يتفق وفكرته التي حاول أن يدعمها بالأدلة أن يخرجها من حيز الإنطلاق وجعلها محصورة رغم هذا، فإن ماقاله لايمنع من أن نقول: إن الآيات قد وصفت تلك الظواهر الكونية وصفا علميا دقيقاً فوق مايعهده العرب الأميون وفوق أحدث ماتوصل إليه العلم الحديث ..

وأعجب العجب أن يذكر علم العرب في الطب ولكنه طب بدائى يقوم على تجاربهم لا على علوم غيرهم، فنستطيع أن نقول: مافي إستطاعتنا أن ذلك الذي اعتبره الامام طبا بدائيا هو أننا قد قررنا سابقا أنه لايستطيع أي أحد أن يحكم على زمن بمعارف زمن آخر، بكل معارفه وامكانياته فإن كانت امكانيات الطب الحديث لم تتوفر لهم آنذاك ولكنها قد توفرت لهذا الجيل فهم قد بذلوا جهدهم بما لديهم حينئذ من معارف وامكانيات .. واذا كان الامام يعتبر ذلك اقحاما للقرآن في غير مالم تقم عليه الدلائل والبراهين اليقينية ...

فإننا بذلك مدينون له لأنه ينزه القرآن عن عبث العابثين ولكى لايكون عرضه للقيل والقال والرجل بعلمه وحكمته وتدقيقة لايعدو أن يكون موقناً بأن يذود عن حياض القرآن الكريم كل مايعلق به من آراء ان صحت اليوم بطلت غدا ...

ولعل الأستاذ حموده محمد داود سند قد أحس بذلك حين أتى في نهاية مطافه وقرر مايلي :

«للشاطبى العذر فيما ذهب إليه فقد رأى ــ كما قال ــ كثيرا من الناس تجاوزوا على الدعوة في القرآن الحد فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف لا جميع مانظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، لكن الغاية

لا تبرر الوسيلة كما يقولون فما كان ينبغي آن يحمله هذا على التصدى للفكرة فكان الأولى أن ينقيها مما علق بها»[1].

هذا هو نهاية المطاف، ولقد عرضنا لآراء المؤيدين والمعارضين في عجالة سريعة ورغم مالهذه القضية ومالمؤيديها ومعارضيها من أدلة، فإننا نقول:

أن هذه القضية رغم إنقسام الناس فيها إلى فريقين ورغم إتهام كل فريق للآخر فإننا نرى أن الأمر ليس كذلك، ولكن كلا من الفريقين أراد أن يثبت عظمة القرآن وجلال قدره وقوة حجته وسطاعة برهانه ..

فالفريق الأول :

فمن ذلك ماإرتآه الفريق الأول وهو فريق المؤيدين اذ يعتبر القرآن الكريم قد حوى كل شيء وذلك لا لشيء إلا لأنهم يجعلون القرآن الكريم منهلهم العذب ونورهم المضيء وطريقهم المستقيم الذي لا إعوجاج فيه ..

ومن ثم فإنهم يدعون العالمين إلى أن يجعلون دستور حياتهم في كل ماشرد وورد. من هذا المنطلق لايستطيع قائل ــ أيا كان قوله ــ أن يلقى غبارا على ما قالوا ...

والفريق الثاني :

يرى مثل ذلك ولكنه يختلف اختلافا جوهريا في طريقة التدليل على مايريد، فلقد اعتبر القرآن أيضاً هو نورهم الأسمى، ومعقل أمل عقولهم، فإذا ذكر فإنه يجب على العقل أن ينصت ويخضع ويتدبر ..

ومن ثم فلا مجال لأن يكون عرضة لأن ينزل إلى معترك الحياة ومافيها من أخذ ورد وتأييد ونكران ويقين وظن ...

---

(١) تفسير القرآن الكريم والعلوم الحديثة ص ١٩٥.

فلكى يجل القرآن أبعدوه عن الخوض، وخاصة وأنه لو أبيح فيه ذلك لكان عرضة للجاهل والعالم، فإن كان العالم بعلمه يحميه، فإن الجاهل بجهله يرديه ...

تلك اذن هي الحقائق التي تغلب على ظننا وفيما عرضناه يتضح لنا أن الوسيلة مختلفة والغاية واحدة، فالكل يجعل القرآن الكريم في مكانه الذي يجب أن يكون فيه رفعة وقدراً وتقديراً ..

جزاهم الله لما هدفوا إليه وماأجهدوا أنفسهم عليه خير الجزاء.

وبهذا نجد أن كل صاحب فن أو مذهب يفسر القرآن بما يتناسب مع فنه أو بما يؤيد مذهبه.

ومما لاشك فيه أن مثل هؤلاء عملوا على تحمل آيات القرآن الكريم مالا يحتمله ـــ في أغلب الأحيان ـــ لأنهم كثيراً مايسارعون إلى اقحام القرآن العظيم في الاستشهاد على مايدينون له من فن.

ولقد تكفل الحق سبحانه وتعالى بالمحافظة على هيمنة كتابه فقيض له العلماء الأجلاء ـــ في كل عصر ـــ الذين وقفوا في وجه من نحا بالقرآن هذه المناحى ففسروا القرآن تفسيراً نقليا بحتا مثل السيوطى في الدور المنثور المتوفي سنة ٩١١هـ ونهيب بالاخوة الباحثين في مجال القرآن وعلومه أن يعملوا على تحقيق هذا الكتاب حتى نقف على ماصح منه وأيضاً قيض الله في هذا العصر الشيخ محمد الأمين الشنقيطى المتوفي سنة ١٣٩٣هـ في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.

وهكذا كما رأيت فهذه هي الاتجاهات التفسيرية وتعدد طرقها وألوانها وهي متشعبة متكاثرة كما رأيت ولكي نوضح لك ماأنت سائر فيه بمشيئة الله تعالى نقدم لك فيما يلي أنواع التفسير :

المبحث الثاني

المبحث الثاني
ويشتمل على أنواع التفسير

النوع الأول: التفسير بالمأثور.

١ ــ معناه. ٢ ــ نشأته. ٣ ــ مقدار الثقة به. ٤ ــ أهم الكتب المؤلفة فيه.

النوع الثاني. التفسير بالرأى.

١ ــ معناه. ٢ ــ نشأته. ٣ ــ موقف العلماء منه.

أنواع التفسير

تفسير القرآن الكريم نوعان: مأثور ويسمى تفسير الرواية والتفسير النقلى وتفسير الرأى ويسمى الدراية والتفسير العقلى.

النوع الأول: التفسير بالمأثور .

سنتناول بعون الله تعالى فيه نقاط أربعة :

١ ـ معناه ٢ ـ نشأته ٣ ـ مقدار الثقة به. ٤ ـ أهم الكتب المؤلفة فيه.

أولاً :معنـــاه :

يشتمل على ماجاء في تفسير القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته.

وما نقل عن النبي ﷺ.

وما نقل عن التابعين من كل ماهو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

ثانياً :نشأتـه :

من المعلوم أن نشأة هذا التفسير تعلم من أسمه من خلال الرواية عن رسول الله ﷺ. وهو ماأشرنا إليه من التلقى والتلقين فقد روى الصحابة ماسمعوه منه ﷺ وزادوا عليه ماعلموه من خلال ماتوافر لهم من شروطه التي حدودها ولقد صار على منوالهم التابعون الذين تتلمذوا عليهم دون ماأعمال لاجتهاد في آية من الآيات أو كلمة من الكلمات.

ثالثاً :مقدار الثقة به :

انه مما لاشك فيه أن ماتوافرت الأدله على صحته وقبوله لايليق بأحد كائنا من كان أن يقول برده أو اهماله أو اغفاله لأنه الركيزة القوية للدلالة على الاهتداء بالقرآن العظيم.

أما مالم يصح فهو مايجب رده ولايجوز قبوله ولا الاشتغال به بل وينفر منه وينبه إلى ضلاله وخطأه حتى لايعتد به أحد وأنظر إلى رأى شيخ الاسلام في ذلك فلقد جمع فأوعى لعل الله أن ينفعك بما قال[1].

رابعاً :بعض النماذج من الكتب المؤلفة في هذا النوع :

جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبرى المتوفي سنة ٣١٠ هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه الأندلسى المتوفي سنة ٥٤٦هـ.

تفسير القرآن العظيم لأبى الفداء الحافظ بن كثير المتوفي سنة ٧٧٤هـ.

الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدين السيوطى المتوفي سنة ٩١١ هـ.

اضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن لمحمد أمين الشنقيطى المتوفي سنة ١٣٩٣هـ.

النوع الثاني[2] :

التفسير بالرأى. سنتناول بعون الله تعالى :

معناه ــ نشأته ــ موقف العلماء منه ــ

أولا : معناه : للناس فيه وجهان.

الأول أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسوَّر عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء أو إقتضته قوانين العلوم التي يحتاج إليها المفسر. وهذا مذموم.

الثاني : يقول الدكتور الذهبي في معنى التفسير بالرأى «يطلق الرأى على الإعتقاد وعلى الإجتهاد وعلى القياس ومنه أصحاب الرأى أي أصحاب القياس. والمراد بالرأى هنا الإجتهاد وعليه فالتفسير

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٤٤/١٣.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك بمشيئة الله تعالى في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

بالرأى عبارة عن تفسير القرآن بالإجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناهجهم في القول ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالالتها وإستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

ثانيا : نشأتـــه:

قد علمت مما تقدم أن التفسير بالمأثور هو أول مانشأ من أنواع التفسير. أما التفسير بالرأى فمن المعلوم كما عرضنا لك من قبل أن مثل هذا النوع كان غير معلوم حتى في بعض الألفاظ وقد مر بك بعض النماذج في ذلك وأنظر إلى مجموع فتاوى شيخ الإسلام لعلك تجد الرأى الصائب في مثل هذا المجال.

وعلى ماذكرناه أولا فقد تأخر هذا النوع عن النوع الأول بعض الوقت وعلى الثاني فإننا نعتبره ملازما لما أحدثه ابن جرير في ترجيحه لبعض الآراء.

لكن الذي تطمئن إليه النفس أن الظهور بمعناه الحقيقي لم يكن إلا حين ظهور الفرق الإسلامية. وخاصة من له مذهب خاص فيما يتصل بالعقائد فكان ذلك يدفعهم إلى تلوين التفسير باللون المذهبى رداً على خصومهم كما إنبرى لهم خصومهم ففسروا القرآن بما يتفق مع عقائدهم. مع العمل على إبطال آراء الأولين ونميَّ هذا من العصر العباسي ولقد أوضحت لك ذلك من قبل.

ثالثاً : موقف العلماء من التفسير بالرأى :

الناس في جوارَ تفسير القرآن فريقان :

الفريق الأول لم يجروء على تفسير شيء من القرآن ولم يبيحوا لغيرهم وقالوا لايجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وان كان

عالما أديباً متسعا في معرفة الأدلة. في الفقه والنحو الأحكام وانما له أن ينتهى إلى ماروى عن النبي ﷺ وعن الذين شاهدوا التنزيل من الصحابة رضى الله عنهم أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين[1].

الفريق الثاني :

قد توسعوا فلم يروا بأسا من أن يفسروا القرآن بالاجتهاد والاجتهاد هنا معناه الرأى فلقد قال الشيخ الزرقاني أن التفسير بالرأى منه ماهو محمود وهو من توافر فيه شروط أربعة هي :

(أ) النقل عن رسول الله ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.
(ب) الأخذ بقول الصحابي فقد قيل إنه في حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لامجال للرأى فيه.
(جـ) الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى مالا يدل عليه الكثير من كلام العرب.
(د) الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع.
وما كان غير ذلك فهو مذموم[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه «فأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام ... وبعد أن يورد ادلة قوية ... يقول وهكذا روى بعض أهل العلم من أصحاب النبي وغيرهم أنهم شددوا في أن يفسر القرآن بغير علم[3].

---

(١) أنظر مقدمة التفسير للراغب الأصبهانى ص ٤٢٢.
(٢) انظر مناهل العرفان ١ / ٥١٧ ، ٥١٨.
(٣) أنظر ماقال ٣٧٠/١٣ مجموع الفتاوى مقدمة التفسير.

المَبْحَث الثالث

المبحث الثالث
مناهج أصحاب التفسير بالمأثور
ويشتمل على :

ـ مدى الحرص التام على تنقية مايعول عليه من جهة السند والمتن معاً.
ـ نماذج من الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور.
أولا: التفسير بالأثر المجرد «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطى.
ومنهج مؤلفه فيه :
ـ نماذج من هذا التفسير ودراستها في ضوء الكتب الصحاح.
ثانيا: التفسير بالمأثور مختلطا بالرأى.
(أ) إبن جرير الطبرى ومنهجة في تفسيره.
(ب) إبن الجوزى ومنهجه في تفسيره.
(جـ) إبن كثير ومنهجه في تفسيره.
(د) الشنقيطى ومنهجه في تفسيره.
(هـ) يحى بن سلام ومنهجه في تفسيره.
(و) الخاتمـــة.

مناهج أصحاب التفسير بالأثر

قبل أن نخوض في مناهج أصحاب التفسير بالمأثور فيما انتهجوه في تدوينهم لإيضاح معنى آيات القرآن الكريم، علينا أن نقدم توطئة بين يدى الوضوع نبين فيها كيفية وصول المأثور إلينا.

فنقول: إن التمييز بين مراحل التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى يجعل الباحث في حيرة من أمره، وخاصة في الوقوف على التدوين لكلا المنهجين خاصة وأن معظم الكتب في هذا الشأن قد اندثرت ولم يبق منها إلا النذر اليسير الذي لايعين على حقيقة هذا الأمر.

بيد أننا نعلن مطمئنين أن سمة التفسير بالمأثور، كانت هي الغالبة في العهد الأول، ويغلب على علمنا أنها لم تتوقف في أي عهد من العهود بل كان يعول عليها دائما سواء كان ذلك بالتلقى والتلقين الذي أعتمد عليه أولاً، وأيضاً فيما دون من فمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه على يد عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيفته الصادقة فيما ذكرناه لك سابقا.

وأيضاً فلقد حرص كل من سمع أمراً يتعلق بالقرآن بيانا أو شرحاً، أو أحكاما أو أمراً أو نهيا، أو هديا، أسرع إلى تدوينة، وظل ذلك شغل القوم الشاغل إلى أن أتى عهد التدوين الكلى فكان هذا هو الأساس الذي بنى عليه كل ماهو آت.

وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها التفسير العملى، ونزيدك أيضاحا فنقول: لقد كان الطابع الغالب على هذه المرحلة في التفسير هو: التوضيح القريب من الرسول (ﷺ) ــ بمعنى أنه (ﷺ) يوضح المعنى من أقرب طريق لدى السامع ــ مستهدفا بيان مايخاطب به العام والخاص، مع حرصه التام (ﷺ) على الإبانة التي تقتضيها طبائع الناس المختلفة، وتفاوت مراتبهم في الفهم الفطرى. ولم يقف الأمر عند هذا البيان بل قد سار إلى جانب ذلك، توضيح الأصول الصحيحة، والحقائق الدقيقة التي حفل بها

تفسيره (ﷺ) حتى خلد مع الزمن، وتوضيح الأحكام العملية، والأخلاق الفاضلة فوصل بمن صدقة إلى مستوى من الرقى لم يبلغه من سبق، ولن يصل إليه من يأتي، بما سنه من قمم عقائدية وأخلاقية واجتماعية سامية.

وهذه المزاوجة المثلى في تفسير الرسول (ﷺ) هي جوهر الإعجاز في بيانه وفي رسالته (ﷺ).

وعليه فإن طريقة التفسير النبوى للقرآن الكريم لهى الطريقة المثلى، لكل من أراد أن ينحو منحى تفسير منهجى بيانا للقرآن عامة وخاصة، مجملة ومبينة، مطلقة ومقيدة.

وأعتقد أنه لايوجد من يخالجه أدنى شك في أن الصحابة، ومن تتلمذ على يديهم من التابعين كانوا يتبعون هذا المنهج بالنقل عنه، والسير على ضيائه ومنهاجه.

بيد أنّا نستطيع بعون الله وقوته أن نفرق بين جيلين من المفسرين بالمأثور يمثلان اتجاهين مختلفيين فيمن سبق :

الجيل الأول : يتمثل في الخلفاء الأربعة وبعض الصحابة رضى الله عنهم الذين شغلوا بهذا النوع.

الجيل الثاني : ويتمثل في ابن عباس رضى الله عنه، ومن تتلمذ على يديه من التابعين كمجاهد وغيره.

والفرق بين الجيلين: أن الأول كان يلتزم بما ورد فيه شيء عن رسول الله (ﷺ) مع بيان سبب النزول، فهم الشهود والمعاصرون للتنزيل أو الراوون عن رسول الله (ﷺ).

ولقد كان لفظ القرآن الكريم مهابا من قبلهم لقد سيته، مخافة أن يقولوا فيه مالا يعلمون.

وأما الثاني: فلقد التزم أيضاً بالمنقول عن رسول الله (ﷺ) والصحابة ولكنه اجتهد فيما يغيب عنه، وقد يستعين بالشعر اذا احتاج المقام لذلك

يقول ابن عباس : (الشعر ديوان العرب، فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديواننا فالتمسنا معرفة ذلك منه[1].

ولعلك ترى معي أن الحلقة ظلت مترابطة لا إنفكاك بينها بالنسبة لتفسيره (ﷺ) سواء كان ذلك بطريق التلقى والتلقين أو التدوين الكتابي.

بيد أننا لا نغالى فنقول: أنه بين أيدينا تفسيراً كاملاً لجميع معاني القرآن الكريم وألفاظه لرسول الله (ﷺ).

ولا نتقاعس : فنقلل من شأن مابلغنا عنه (ﷺ).

ومن المعلوم لدى أئمة هذا الشأن ــ بعدما عرضناه لك سابقاً ــ أن هناك تفاسير رويت مسندة إلى رسول الله (ﷺ)، وإلى الصحابة والتابعين أغلبها ليس فيه شيء أكثر من التفسير بالمأثور.

سواء كان ذلك على يد عبدالله بن عمرو بن العاص، أو ماكان على يد كل من:

ــ سعيد بن جبير	المتوفى سنة ٩٥ هـ فيما كتبه لعبد الملك بن مروان المتوفي سنة ٨٦ هـ.
ــ مقاتل بن سليمان	المتوفى سنة ١٥٠ هـ.
ــ شعبة بن الحجاج	المتوفى سنة ١٦٠ هـ.
ــ سفيان بن سعيد الثورى	المتوفى سنة ١٦١ هـ.
ــ وكيع بن الجراح	المتوفى سنة ١٩٧ هـ.
ــ سفيان بن عيينه	المتوفى سنة ١٩٨ هـ.
ــ يحيى بن سلام	المتوفى سنة ٢٠٠ هـ.
ــ يزيد بن هارون	المتوفى سنة ٢٠٦ هـ.
ــ روح بن عبادة القيسى	المتوفى سنة ٢٠٧ هـ.
ــ عبد الرزاق بن همام الصنعانى	المتوفى سنة ٢١١ هـ.
ــ آدم بن اياس العسقلانى	المتوفى سنة ٢٢٠ هـ.

(١) الاتقان ١/١٣١.

ـ اسحاق بن راهويه المتوفى سنة ٢٣٨ هـ.
ـ عبد بن حميد المتوفى سنة ٢٤٩ هـ.
ـ ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣ هـ.

وهؤلاء جمعوا أقوال من تقدمهم وصنفوا التفاسير[١] التي ضاع أكثرها فلم يبق منها إلا النذر اليسير. فكانوا بذلك، ارهاصا لابن جرير الطبرى ـ فيما أوضحناه لك ـ الذي يوشك المفسرون من بعده أن يكونوا عالة عليه فيما ساقة من كثرة كاثرة من التفسير بالمأثور، وإن كان قد رجح بين الروايات واستنتج بعض الأحكام من الآيات، إلى أن وصل الأمر إلى فريد عصره وزمانه العلامة البحر الامام السيوطى المتوفي سنة ٩١١ هـ، فلقد انفرد بالمأثور الخالص، وإن كان هناك بعض التعليقات على بعض المروى في درة فسنقوم بإذن الله تعالى بدراستها دراسة علمية فيما سيأتي.

وعليه فلا صحة لقول الخصم الألد الأستاذ جولد تسيهر. إذ يحرص دائما أن يطلق التشكيكات العارية عن الدليل فنراه في هذا المجال يقول: (من الظواهر التي لاحظناها حتى الآن يمكن إستخلاص أنه لايوجد تفسير مأثور موحد للقرآن، فمن ناحية يروى عن صحابة مختلفين وجوه مختلفة، وكثيراً متعارضة في تفسير مواضع من القرآن، ومن ناحية أخرى تنسب إلى صحابي واحد بعينه أقوال مختلفة في دلاله بعض مفردات أو سائر تراكيب جملية، وعلى هذا يمكن عد وجوه من التفسير مختلفة بعضها مع بعض، ومتعارضة بعضها مع بعض تفسيراً بالعلم مع التسوية بينها جميعا في الحق[٢].

فقوله (وجوه مختلفة) يتجاهل أن الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد وقوله (متعارضة) غير صحيح، فإنه في حالة صحة الاسناد عن الصحابة فلا يوجد تعارض التبة.

---

(١) انظر البرهان ١٥٩/٢ وطبقات المفسرين للسيوطى، ص ٢٠ وما بعدها وشذرات الذهب ٢٦٠/٢ وتاريخ بغداد ١٦٣/٢.

(٢) مذاهب التفسير الاسلامي ١٠٤، وأنظر فيه أيضاً ٤٨ ، ١٠٣ نجده متحاملاً حيث لا وجه لصواب ماقال.

وقوله (تنسب إلى صحابي واحد بعينه أقوال مختلفة)، فلو أعمل فكره قليلاً لأدرك أن الأقوال تأتى عن طريق الأسانيد، واننا لاصطفاء القول الصحيح ننقد الأسانيد توصلا إلى ضبطها، ثم نضرب صفحا عن الأسانيد الواهيه، واذا نظر بقليل من الامعان فيما ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه عن اختلاف التنوع واختلاف التضاد[1]. وماذكره هذا المتحامل من مهاترات لاوجه لها لكفانا مؤونة الرد عليه، وكفى الصحف شر ماسودها به من افتراء.

ولعلك تدرك الأن عظيم خطر مثل هذا المتحامل، ونزيد هنا فنقول: إن أشد منه خطراً هؤلاء الذين ينهجون مسلكه عن قصد أو بدون، وخاصة مشاهير الكتاب من أصحاب الأقلام الرائجة في حقل الإعلام فاحذرهم تسلم.

ولايسعنا هنا إلا أن نعود فنذكر ان القرآن الكريم ظل شغل الناس الشاغل في كل زمان ومكان طيلة القرون الأربعة عشر السالفة، وسيظل ـــ بعون الله تعالى ـــ كذلك أمد هذه الدنيا يتنافس في الكتابة في رحابه العلماء والباحثون من المسلمين ومن غيرهم ممن حسنت نواياهم.

وسنحاول ـــ بعون الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ أن نلجم كل من تطاول، وذلك بعرض المعول عليه في منهج التفسير بالأثر، ومدى الحر ص التام على أن يصل إلينا هذا النوع بأدق مايكون من جهة سنده ومتنه معاً، كما سيتبين من الدراسة.

ثم نعرض بعد ذلك مناهج أصحاب التفسير بالأثر من خلال ماألفوا فيما هو آت :

أولاً :التفسير بالأثر المجرد ويمثل ذلك السيوطى ومنهجه، في تفسيره «الدر المنثور».

ثانيـــاً :التفسير بالمأثور مختلطاً بالرأى :

(أ) ابن جرير الطبرى ومنهجه في تفسيره.

---

(١) أنظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٣/٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٤٤.

(ب) ابن الجوزى ومنهجه في تفسيره.
(جـ) ابن كثير ومنهجه في تفسيره.
(د) الشنقيطى ومنهجه في تفسيره.
(هـ) يحى بن سلام ومنهجه في تفسيره.

منهج التفسير بالمأثور
ومدى الحرص التام على تنقية مايعول عليه من جهة السند والمتن معاً

يذكر شيخ الإسلام ابن تيميه: (أنه اذا صح النقل، صدَّق الخبر، كإسم صاحب موسى أنه الخضر، وان لم يصح النقل لم يصدق الخبر، مثل ماروى عن لون كلب أهل الكهف، والبعض الذي ضرب به موسى البقرة، وفي مقدار سفينة نوح ومكان خشبها، وفي إسم الغلام الذي قتله الخضر، وغير ذلك. فإنه مما يؤخذ عن أهل الكتاب وموقفنا منهم معروف، فإذا روى عنهم مايوافق الكتاب والسنُه صدقناه، واذا روى عنهم مايخالف الكتاب والسنة كذبناه، وماروى عنهم عدا ذلك لايجوز تصديقة ولا تكذيبه إلا بحجة، كما ثبت في الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال «اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولاتكذبوهم، فإما أن حدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل، فتصدقوه»[(١)].

اذن فإسناد الصحيح عن المعصوم لايشك أحد كائنا من كان أنه حجة في التفسير وغيره.

ولقد أدرك شيخ الإسلام أن التفسير بالمأثور لايصل إلينا إلا عن طريق الرواية والأسناد، وأن الأسانيد ليست سواء في الصحة والضعف، ثم بين موقف الامام أحمد بن حنبل من الإحتجاج بالحديث الضعيف، مزيلاً عنه بعض الشكوك التي قد تعلق في بعض الأذهان المريضة فيقول: (ومانقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولاحسن فقد غلط عليه، ولكنه كان في عرف أحمد ابن حنبل، ومن قبله من العلماء ينقسم إلى نوعين: صحيح، وضعيف والضعيف عندهم ينقسم إلى ضعيف متروك لايحتج به، وإلى ضعيف حسن .... وأول من عرف أنه قسم

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٣/٣٤٥.

الحديث ثلاثة أقسام. صحيح وحسن وضعيف أبو عيسى الترمذى في جامعه، والحسن عنده ماتعددت طرقة ولم يكن في روايته متهم وليس بشاذ، فهذا الحديث وأمثاله يحسبه أحمد ضعيفا ويحتج به[1].

وأما عن الموقوف فنجد شيخ الإسلام يحرص على أن يدفع شكوكا قد تتطرق إلى ذهن الباحث فيعلن عن قبول الموقوف على الصحابى ــ ويقصد بالموقوف ماروى عن الصحابة من قول أو فعل أو تقرير كأن يقول الراوى: قال عمر بن الخطاب كذا أو فعل كذا أمام أبى بكر فأقره ولم ينكره ــ ويرى أنه يحتج به اذا صح النقل وذلك لأمرين :

١ ــ احتمال سماعه من النبي (ﷺ).
٢ ــ نقل الصحابه عن أهل الكتاب أقل وفي حدود المسموح به، وعلم عنهم أنهم كانوا يتورعون عن القول في كتاب الله سبحانه وتعالى.

ولقد خالف بعض العلماء شيخ الإسلام فذهبوا إلى أضعاف الموقوف عموما صح النقل عن الصحابى أو لم يصح وحجتهم في ذلك أن للحديث المروى عن رسول الله (ﷺ) قداسة ليست لحديث سواه. ولو كان صحابيا جليلاً.

وإنى أرى أن ماذهب إليه شيخ الإسلام في الاحتجاج بالموقوف أولى اذا صح النقل يقول ابن حجر: (لأننا حين نحكم له بالصحة أو الحسن اذا توافرت فيه شروط أحدهما نعلم يقينا أننا انما نصحح أو نحسّن حديث الصحابي لاحديث رسول الله (ﷺ) فلم تكذب عليه (ﷺ) لاساهين ولا متعمدين، ولم نضع فيه مالم يتلفظ به ووصفنا للموقوف بالصحة أو الحسن لايعنى وجوب عملنا به وانما نبيح لأنفسنا العمل بما ثبت منه أنه لامجال للرأى والاجتهاد فيه)[2].

---

(١) أنظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٥٤/١٢، وأنظر علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٨.

(٢) أنظر شرح نخبه الفكر في مصطلح أهل الأثر ص ٢٩.

ونواصل مع شيخ الإسلام في دفعة الشكوك التي يتعلل بها البعض للطعن في الطرق التي ينقل من خلالها التفسير إلينا وهي قضية الارسال ومدى حجية المراسيل[1] اذا أتى التفسير عن طريقها، اذ يقول : (.. والمراسيل اذا تعدد طرقها وخلت عن المواطأة قصداً أو اتفاقاً بغير قصد كانت صحيحة قطعاً فإن النقل إما أن يكون صدقا مطابقاً للخبر، وإما أن يكون كذبا تعمد صاحبة الكذب أو أخطأ فيه فمتى سلم من الكذب العمد، والخطأ كان صدقاً بلا ريب.

فاذا كان الحديث جاء من جهتين أو جهات وقد علم أن المخبر من لم يتواطأ على اختلاقه، وعلم أن مثل ذلك لاتقع الموافقه فيه اتفاقا بلا قصد علم أنه صحيح)[2].

يريد أن ماجاء من التفاسير عن طريق مثل هذه المراسيل فهو صحيح يعتمد عليه ومعلوم أن الحديث المتواتر لا أختلاف بين المحدثين في حجيته وأنه يوجب العلم الضرورى والعلم، وكذلك صار العقلاء على اختلاف مشاربهم.

وأما حديث الأحاد فقد اختلف فيه[3] بيد أن شيخ الإسلام يقول: (وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من

---

(١) يقول الدكتور ناصر بن محمد الحميد: يرى صبرى المتولى في كتابه منهج ابن تيمية في التفسير ان بن تيمية أتى برأى مستقل في هذا ــ يقصد المراسيل ــ والصحيح انه لم يأت برأى مستقل وأن هناك طائفة من العلماء قبل ابن تيميه يرون هذا الرأى (انظر مثلا تقريب النووى وشرحه تدريب الراوى ١٩٨/١، والتقيد والايضاح ص ٣٧٣ والقواعد في علوم الحديث ص ١٣٩م انظر في هذا ابن تيميه ومنهجه في تفسير القرآن ٢٨٨/١.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٦٢.

(٣) أنظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص ٦، والأحكام في أصول الأحكام ١١٩/١.

أصحاب أبى حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ...)[1].

ولقد قامت جهود مضنية من أهل فن علم الحديث في هذا الشأن فأفردوا علما خاصا يسمى علم (علل الحديث) يرجع إليه الفضل في كشف العلل القادحة في صحة الحديث وإن كان سنده يبدو ــ في الظاهر ــ جيداً[2].

يقول الشيخ الزرقاني: إن علم علل الحديث تتجلى أهميته في كونه علما يبحث عن الأسباب الخفية الغامضة من حيث أنها تقدح في صحة الحديث كوصل منقطع، ورفع موقوف وإدخال حديث في حديث وما شابه ذلك[3].

ولقد إتضح أمامك مدى دقة العلماء في نقد المرويات التي يعول عليها في التفسير بالمأثور، وأنه لايقبل فيه إلا ماطمأنت النفس إليه من الصحة.

وأيضاً قد اعتنى القوم في موضوع غاية في الخطورة من حيث إضلاله الناس وهو الموضوعات التي وجدت في قليل من التفسير، وظلوا يحذرون من التهاون بها أو التعويل عليها. ولقد بدأ ظهور الموضوعات في سنة ٤١ هـ. حين تنازع المسلمون شيعا وأحزابا وانقسموا سياسيا إلى جمهور وخوارج وشيعه[4]. فالواضع لايهمة في شيء صحة المتن ولا سلامة السند وأكثر مايكون الاختلاف من تلقاء نفس الوضاع بألفاظ من صياغته واسناد من نسجه[5].

---

(١) أنظر مجموع الفتاوى ٤١/١٨.
(٢) المرجع السابق ١٩/١٨.
(٣) المنهل الحديث في علوم الحديث.
(٤) انظر علوم الحديث ومصطلحه ٣٦٦.
(٥) انظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر ص ٢٠.

ولقد ذكر شيخ الاسلام بعض النماذج من الموضوعات ثم يعقب على ذلك مؤكداً قيمة التفسير المأثور من جهة حماية الحق سبحانه وتعالى فيقول:

(إن المنقولات التي نحتاج إليها في الدين قد نصب الله الأدلة على بيان مافيها من صحيح وغيره[1]).

ونحيل القارىء الكريم إلى ماكتب في هذا الجانب فهو جيد ومفيد لمن أراد خيراً فتنبه.

---

(١) أنظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٤٦/١٣ ــ ٣٥٤، والاسرائليات في التفسير والحديث ص ٢٠٧، والتفسير والمفسرون ٢٣٤/١ ــ ٢٣٧ ــ ٢٣٨.

نماذج من الكتب المؤلفة
في التفسير بالمأثور ودراستها

أولاً: التفسير بالأثر المجرد

«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي.

تأتى أهمية هذا التفسير من أنه التفسير الوحيد بين كتب التفسير النقلى الذي اقتصر على النقل دون اعمال للرأى، وهو يعد أشد هذه التفاسير تمسكا بالأثر والتزاما بمنهجه، ويقع هذا التفسير في ستة أجزاء.

التعريف بصاحب الكتاب :

هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن الكمال بن محمد بن سيف الدين بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ همام الدين الخضيرى[1] السيوطى الشافعى المسند المحقق ...

مولده

يقول السيوطي : (كان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة هـ ــ أكتوبر ١٤٤٥م.

نشأتــه وثقافتــه :

ولد السيوطي يتيما فقد توفي والده وله من العمر خمس سنوات، وسبعة أشهر وأسندت وصايته إلى جماعة منهم الكمال بن الهمام، فقرره في وظيفة الشيخونية وقد وصل في القراءة إلى سورة التحريم،

---

(١) يذكر السيوطى أن هذه النسبة إلى الخضيرة محله ببغداد وهي موطن أسرته وتعرف الأن بسوق خضير، ثم أرتحلت الأسرة إلى أسيوط مدينة بصعيد مصر. إليها انتسب وأشتهر. انظر حسن المحاضرة، وطبقات الحفاظ ص ١٠ ومعجم البلدان جـ ٣ ص ١١٢، وشذرات الذهب جـ٨/٤١.

ولقد حباه الله سبحانه وتعالى من أسباب النجاح في الحياة ماجعله آية في العلم.

فقد أتم حفظ القرآن الكريم وله من العمر ثمان سنوات وقبل ذلك أحضره والده مجلس الحافظ : ابن حجر وهو في الثالثة من عمره ويقول عن نفسه .... (ثم حفظت العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية بن مالك، وشرعت في الأشتغال بالعلم، من مستهل سنة ٦٤ فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ وأخذت الفرائض عن العلامة الشيخ شهاب الدين الشار مساصى ... قرأت عليه في شرحه على المجموع.

ولقد أخذ السيوطى العلم عن : ستمائة شيخ هكذا رواه تلميذه الشعراني في طبقاته الصغرى.

وقد ذكر الداودى في ترجمته أسماء شيوخه إجازة وقراءة وسماعا مرتين على حروف المعجم فبلغ عدتهم إحدى وخمسون نفساً.

وتأثر السيوطى بهذه البيئة فلقد نشأ بين الكتب حتى لقب بإبن الكتب، وترك له والده مكتبة ذاخرة بالمصنفات ولقد كان سريع الكتابة حاضر البديهة، طريقته في التأليف فريدة في بابها اذ يقدم في أول كتابه منهجه الذي سيسير عليه في الكتابة.

ويقول عن نفسه : رزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع.

وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتى ألف حديث، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث. متنا وسندا وله باع طويل في علم علل الحديث، وله شعر جيد أغلبه في الفوائد العلمية والأحكام الشرعية.

مؤلفاتــه :

بلغت مؤلفات السيوطى فيما ذكره صاحبا دليل مخطوطات السيوطى ٩٨١ مابين مخطوط ومطبوع.

وفاتــه :

كانت وفاته في جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ[١].

(١) أنظر شذرات الذهب جـ ٨ ص ٥٤ . وطبقات الحفاظ ١٠ وطبقات المفسرين ص ١٨ السيوطى محدثا والكواكب السائرة جـ ١/٢٢٧. وحسن المحاضرة ١/٣٣٨ ومؤلفات السيوطى ٨٧ ودليل مخطوطاته ٧ تدريب الراوى ١٢.

الدر المنثور في التفسير المأثور
ومنهج مؤلفه فيه

ذكرنا لك في ترجمته أن له طريقة فريدة في بابها، لأنه ينير الطريق للقارىء، ففي مقدمة الدر المنثور يبين ذلك فيقول: (وبعد فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله (ﷺ)، وتم بحمد الله في مجلدات فكان ماأوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرجة فيها واردات ــ طرق كثيرة ــ رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيلة ورغبتهم في الإختصار على متون الأحاديث دون الاسناد وتطويله فلخصت منه هذا المختصر مقتصرا فيه على متن الأثر مصدره مصدراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب مفيد وسميته (بالدر المنثور في التفسير المأثور[1].

ويتبين لنا من هذا أن (كل مافيه هو سرد الروايات عن السلف في التفسير دون أن يعقب عليها فلا يعدل ولايجرح ولايضعف ولايصحح فهو كتاب جامع فقط لما يروى عن السلف في التفسير أخذه السيوطى من البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وأحمد وأبى داود وابن جرير وابن أبى حاتم وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا وغيرهم ممن تقدم ودون التفسير)[2].

ولايفوتنا هنا أن ننبه كما أشرنا سابقا إلى أن كتاب الدر المنثور هو الوحيد بين الكتب الذي اقتصر على التفسير بالمأثور وذلك ليفرق بين هذا الكتاب وبين كتاب آخر أشار إليه السيوطى، حتى اذا ماظهر تكون الرؤيا بينهما واضحة اذ يقول: (وقد شرعت في تفسير جامع لجميع مايحتاج إليه من التفاسير المنقوله والأقوال المعقولة والإستنباطات والإشارات والأعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع، وغير ذلك بحيث لايحتاج منه إلى

---

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور ٢/١.

(٢) التفسير والمفسرون ٢٥٣/١، ٢٥٤.

غيره أصلا وسميته: بمجمع البحرين ومطلع البدرين[1] وهو الذي جعلت هذا الكتاب ــ يعنى الاتقان ــ مقدمة له[2].

---

(١) انظر كشف الظنون ١٥٩٩ وحسن المحاضرة ٢٣٩/١، وهداية العارفين ٥٤٢/١ وهو شرح التفسير المسمى تحرير الرواية وتنوير الدراية انظر مخطوطاته ٤١.

(٢) انظر الاتقان ١٩٠/٢.

نماذج من هذا التفسير ودراستها

سيكون منهجنا ــ بعون الله تعالى ــ في عرض النماذج أن نخرج الآثار التي ذكرها عن أصحابها الذين نقل عنهم، ثم نعقب بعد ذلك بما يستفاد من النص في ضوء ماذكر من آثار، وذلك نظراً لأهمية الكتاب.

النموذج الأول :

في الأحكام

قال تعالى :

﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت، أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم﴾.

الآية ١٥٨ ــ سورة البقرة

قال في الدر المنثور ١٥٩/١ ــ ١٦١ مانصه :
قوله تعالى ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية.

أخرج مالك في الموطأ وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة وابن جرير وابن أبى داؤد وابن الأنبارى في المصاحف معا وابن ابى حاتم والبيهقى في السنن عن عائشة أن عروة قال لها: أرأيت قول الله تعالى:﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ فما أرى على أحد جناحا أن لايطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت ياابن أختى، انها لو كانت على ما أولتها كانت: فلا جناح أن لايطوف بهما، ولكنها انما نزلت: ان الانصار ــ قبل أن يسلموا ــ كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله انا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية، قالت عائشة: ثم قد سن رسول الله ﷺ

الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما[1].

وأخرج عبد بن حميد والبخارى والترمذى، وابن جرير، وابن أبى داود في المصاحف وابن أبى حاتم وابن السكن والبيهقى عن أنس أنه سئل عن الصفا والمروة قال : كنا نرى أنهما من الجاهلية، فلما جاء الاسلام امسكنا عنهما فأنزل الله: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾[2].

---

(١) أخرجه الامام مالك في الموطأ ٣٧٣/١ كتاب الحج باب جامع السعى عن هشام ابن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة: وذكر الحديث.
وأخرجه الامام أحمد في مسنده ١٤٤/٦، ١٦٢، ٢٢٧ عن عروة عن عائشة.
وأخرجه الامام البخارى في صحيحه ٢٨/٦ كتاب التفسير باب قوله: ان الصفا والمروة من شعائر الله عن هاشم بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة.
وأخرجه الامام مسلم في صحيحه ٩٢٩/٢ كتاب الحج، باب بيان أن السعى بين الصفا والمروة ركن لايصح الحج إلا به عن عروة بن الزبير قال: قلت لعائشة.
وأخرجه أبو داوُد في سننه ١٨١/٢ كتاب المناسك (الحج) باب: أمر الصفا والمروة عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة.
وأخرجه النسائى في السنن ١٩٠/٥ كتاب مناسك الحج ذكر الصفا والمروة عن عروة قال: قرأت عن عائشة فلا جناح عليه أن يطوف بهما وذكر الحديث.
وأخرجه ابن ماجة في سننه ٩٩٤/٢ كتاب المناسك باب السعى بين الصفا والمروة عن هشام بن عروة قال: أخبرنى أبى قلت لعائشة: وذكر الحديث.
وأخرجه الطبرى في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩/٢ عن عروة بن الزبير قال: سألت عائشة.
وأخرجه ابن ابى داود في كتاب المصاحف ٩٩ ـــ ١٠٠ عن هشام.
وأخرجه الترمذى ٢٠٨/٥ ـــ ٢٠٩ عن عروة قال: قلت لعائشة قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الامام البخارى في صحيحه ٢٨/٦ كتاب التفسير باب إن الصفا والمروة من شعائر الله ... عن أنس.
وأخرجه الامام الترمذى في سننه ٢٠٩/٥ كتاب التفسير باب: ومن سورة البقرة عن أنس.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩/٢ عن أنس.
واخرجه ابن أبى داوُد في كتاب المصاحف ص ١٠٠ عن أنس.

وأخرج الحاكم وصححه، وابن مرداوية عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية في الانصار كانوا في الجاهلية اذا أحرموا لايحل لهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما قدمنا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿أن الصفا والمروة من شعائر الله﴾[1].

واخرج ابن جرير، وابن أبى داود في المصاحف وابن أبى حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: كانت الشياطين في الجاهلية تعزف الليل أجمع بين الصفا والمروة فكانت فيها آلهة لهم أصنام، فلما جاء الاسلام قال المسلمون: يارسول الله، لانطوف بين الصفا والمروة فانه شيء كنا نصنعه في الجاهلية، فأنزل الله ﴿فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ يقول: ليس عليه اثم ولكن له أجر[2].

وأخرج الطبرانى في الأوسط عن ابن عباس قال: قالت الانصار: ان السعى بين الصفا والمروة من أمر الجاهلية، فأنزل الله: ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية[3].

وأخرج ابن جرير عن عمرو بن حبيش قال: سألت ابن عمر عن قوله: ان الصفا والمروة الآية فقال: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فانه أعلم من بقى بما انزل على محمد فأتيته فسألته فقال: انه كان عندهما أصنام فلما، اسلموا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٧٢/٢ كتاب التفسير من سورة البقرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٨/٢ عن ابن عباس.
وأخرجه ابن أبى داوُد في كتاب المصاحف ص ١٠٠ — ١٠١ عن ابن عباس.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢٧١/٢ كتاب التفسير من سورة البقرة عن ابن عباس وقال.
هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) ذكره الهيثمى في مجمع الزوائد ٢٤٨/٣ كتاب الحج باب ماجاء في السعي عن ابن عباس وقال رواه الطبرانى في الاوسط وفيه حفص بن جميع وهو ضعيف.

أمسكوا عن الطواف بينهما حتى أنزلت: ان الصفا والمروة الآية[1].

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية وذلك أن ناسا تحرجوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فأخبر الله أنهما من شعائره الطواف بينهما أحب إليه، فمضت السنة بالطواف بينهما[2].

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر عن عامر الشعبي قال: كان وثن بالصفا يدعى ايساف، ووثن بالمروة يدعى نائلة، فكان أهل الجاهلية اذا طافوا بالبيت يسعون بينهما، ويمسحون الوثنين، فلما قدم رسول الله ﷺ قالوا يارسول الله: ان الصفا والمروة انما كان يطاف بينهما من أجل الوثنين وليس الطواف بهما من الشعائر، فأنزل الله: ان الصفا والمروة الآية، فذكر الصفا من أجل الوثن الذي كان عليه، وأنث المروة من أجل الوثن الذي كان عليه مؤنثا[3].

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد عن مجاهد قال: قالت الأنصار: انما السعي بين هذين الحجرين من عمل أهل الجاهلية فأنزل الله: ان الصفا والمروة من شعائر الله قال: من الخير الذي اخبرتكم عنه فلم يحرج من لم يطف بهما، ومن تطوع خيرا فهو خير له فتطوع رسول الله ﷺ فكانت من السنن فكان عطاء يقول: بدل مكانه سعيين بالكعبة ان شاء[4].

أخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان ناس من أهل تهامة في الجاهلية لايطوفون بين الصفا والمروة، فأنزل الله: ان الصفا والمروة من شعائر الله،

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٨/٢ عن عمرو بن حبيش.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٨/٢عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٨/٢ عن الشعبى.

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٨/٢ عن مجاهد، وفيه: قالت الأنصار: ان السعي بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية فأنزل الله تعالى ذكره ان الصفا والمروة من شعائر الله.

وكان من سنة ابراهيم واسماعيل الطواف بينهما[1].

واخرج عبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن جرير وابن مرداوية والبيهقي في سننه من طريق الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: كان رجال من الأنصار ممن كان يهل لمناة في الجاهلية، ومناة صنم بين مكة والمدينة، قالوا يانبى الله: انا كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيما لمناة فهل علينا أن نطوف بهما فأنزل الله: ان الصفا والمروة من شعائر الله .. الآية، قال عروة: فقلت لعائشة: ماأبالى أن لايطوف بين الصفا والمروة قال: فلا جناح عليه أن يطوف بهما، فقالت: يابن أختى ألا ترى أنه يقول: ان الصفا والمروة من شعائر الله، قال الزهرى: فذكرت ذلك لأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث به هشام فقال: هذا العلم قال أبو بكر: ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يقولون لما أنزل الله الطواف بالبيت، ولم ينزل الطواف بين الصفا والمروة قيل للنبي ﷺ: انا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة وان الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر بين الصفا والمروة فهل علينا من حرج ألا نطوف بهما فأنزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية كلها.

قال أبو بكر فاسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كلاهما فيمن طاف وفيمن لم يطف[2].

وأخرج وكيع وعبد الرزاق وعبد بن حميد ومسلم وابن ماجه وابن جرير عن عائشة قالت: لعمرى ماأتم الله حج من لم يسع بين الصفا والمروة

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩/٢ عن قتادة.

(٢) أخرجه الامام مسلم في صحيحه ٩٢٩/٢ كتاب الحج باب بيان السعى بين الصفا والمروة عن الزهرى عن عروة عن عائشة.
وأخرجه الترمذى ٢٠٨/٥ ــ ٢٠٩ كتاب التفسير باب ومن سورة البقرة عن الزهرى عن عروة عن عائشة قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٩/٢.

ولاعمرته ولأن الله قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله[1].

وأخرج عبد بن حميد، ومسلم عن أنس قال: كانت الأنصار يكرهون السعى بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾، فالطواف بينهما تطوع[2].

وأخرج أبو عبيد في فضائلة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبى داود في المصاحف وابن المنذروابن الانبارى عن ابن عباس أنه كان يقرأ: فلا جناح عليه أن يطوف بهما[3].

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عطاء قال: في مصحف ابن مسعود فلا جناح عليه أن يطوف بهما[4].

---

(١) أخرجه الامام مسلم في صحيحه ٩٢٨/٢ كتاب الحج باب بيان أن السعى بين الصفا والمروة ركن لايصح الحج الا به عن عائشة.
وأخرجه ابن ماجة في سننه ٩٩٤/٢ ــ ٩٩٥ كتاب المناسك باب: السعى بين الصفا والمروة عن عائشة.
وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/٢ عن عائشة.

(٢) أخرجه الامام مسلم ٩٣٠/٢ كتاب الحج باب بيان أن السعى بين الصفا والمروة ركن لايصح الحج الا به عن أنس.

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن مخطوطات برلين تحت رقم ١٦٠ باب الزوائد من الحروف التي خولف بها الخط لوحة /٣٣ عن عطاء عن ابن عباس.
وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/٢ عن ابن عباس.
وأخرجه ابن أبى داوُد في كتاب المصاحف ص ٧٣ عن عطاء عن ابن عباس.

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/٢ وفيه قال عطاء: لو أن حاجا أفاض بعد مارمى حجرة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها ــ يعنى امرأته لم يكن عليه شيء لا حج ولاعمرة من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود: فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، فعاودته بعد ذلك، فقلت أنه قد ترك سنة النبى ﷺ، قال ألا تسمعه يقول: فمن تطوع خيرا فأبى أن يجعل عليه شيئا ....
ومن هذا يتضح أنه ربما حدث سقط فيما ذكره السيوطى فليراجع.

وأخرج ابن أبي داود في المصاحف عن حماد قال: وجدت في مصحف أبي فلا جناح عليه أن يطوف بهما[1].

وأخرج ابن أبي داوُد عن مجاهد أنه كان يقرأ فلا جناح عليه أن يطوف بهما[2].

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس أنه قرأ فلا جناح عليه أن يطوف مثقلة، فمن ترك فلا بأس[3].

وأخرج سعيد بن منصور والحاكم وصححه عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال: أبدأ بالصفا قبل المروة، وأصلى قبل أن أطوف، أو أطوف قبل وأحلق قبل أن أذبح، أو أذبح قبل أن أحلق فقال ابن عباس: خذوا ذلك من كتاب الله فانه أجدر أن يحفظ قال الله: ان الصفا والمروة من شعائر الله. فالصفا قبل المروة، وقال لاتحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فالذبح قبل الحلق، وقال: طهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود والطواف قبل الصلاة[4].

وأخرج وكيع عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس. لم بدىء بالصفا قبل المروة قال لأن الله قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله.

وأخرج مسلم والترمذى، وابن جرير والبيهقى في سننه عن جابر قال:

---

(١) أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٥٣ عن حماد قال: في مصحف أبي وذكر الأثر.

(٢) اخرجه ابن أبي داوُد في كتاب المصاحف ص ٨٩ عن حميد عن مجاهد أنه كان يقرأ وذكر الأثر.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٤٨ كتاب الحج باب ماجاء في السعى عن ابن عباس وقال رواه الطبرانى في الاوسط وفيه الياس بن الفضل الانصارى وهو متروك.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٧٠ ــ ٢٧١ كتاب التفسير من سورة البقرة عن ابن عباس وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

لما دنا رسول الله ﷺ من الصفا في حجته قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله، أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا، فرقى عليه[1].

وأخرج الشافعي وابن سعد وأحمد وابن نافع والبيهقى عن حنيثة بنت أبى بحران قالت: رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم، وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شده السعى يدور به ايزاره وهو يقول واسعوا فان الله عز وجل كتب عليكم السعى[2].

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: سئل رسول الله ﷺ فقال: ان الله كتب عليكم السعى فاسعوا[3].

وأخرج وكيع عن الطفيلى عامر بن وائلة، قال: سألت ابن عباس عن السعى بين الصفا والمروة قال: فعله ابراهيم عليه السلام.

وأخرج الطبراني والبيهقى عن أبى الطفيل قال: قلت لابن عباس: تزعم قومك أن رسول الله ﷺ سعى بين الصفا والمروة، وان ذلك سنه، قال:

---

(١) أخرجه مسلم ٢/٨٨٨ كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ عن جابر وهو بعض من حديث طويل من ٨٨٦ — ٨٩٢.
وأخرجه الترمذى ٣/٢١٦ كتاب الحج باب ماجاء أنه بدأ بالصفا قبل المروة عن جابر قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٢/٣٠.

(٢) أخرجه الدار قطنى ص ٢٧٠ وقال الألبانى في ارواء الغليل صحيح، وأخرجه الشافعى ١٠٢٥ وأبو نعيم في الحليه ٩/١٥٩، والبيهقى ٥/٩٨. وفيه عن حبيبة بنت نجراه ولعل هذا هو الصواب (أنظر أرواه الغليل ٤/٢٦٧ — ٢٦٩ والأم ٢/٢١٠ — ٢١١.

(٣) أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير ١١/١٨٤ — يقول المحقق قال في المجمع ٣/٢٣٩ رواه الطبرانى في الأوسط ١٤٨ مجمع البحرين، وفيه الفضل بن صدفه وهو ضعيف، وقال ٣/٢٤٨ بعد أن نسبه لكبير وفيه الفضل بن صدفة وهو قد ذل، قلت صححه شيخنا.

صدقوا ان ابراهيم لما امر بالمناسك، اعترض عليه الشيطان عند المسعى فسبقة ابراهيم[1].

وأخرج الحاكم عن ابن عباس أنه رآهم يطوفون بين الصفا والمروة، فقال: هذا مما أورثتك أم اسماعيل[2].

وأخرج الخطيب في تالى التلخيص عن سعيد بن جبير قال: أقبل ابراهيم ومعه هاجر واسماعيل عليهم السلام فوضعهم عند البيت فقالت: الله أمرك بهذا قال نعم، قال فعطش الصبى فنظرت فاذا أقرب الجبال إليها الصفا فاتبعته فرقت عليه، فنظرت فلم تر شيئا، ثم نظرت فاذا أقرب الجبال إليها المروة فنظرت فلم ترى شيئا، قال: فهي أول من سعى بين الصفا والمروة، ثم أقبلت فسمعت حفيفا أمامها قالت: قد اسمع فان يكن عندك غياث فهلم، فاذا جبريل أمامها يركض زمزم بعقبه فنبع الماء فجاءت بشيء لها تغرى فيه، قال لها: تخافين العطش، هذا بلد حذيفان الله، لاتخافون العطش[3].

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والترمذى والحاكم وصححه والبيهقى في شعب الايمان عن عائشة قالت، قال رسول الله ﷺ: انما جعل الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار لاقامة ذكر الله لا لغيرة[4].

---

(١) أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير ٣٢٦/١٠ ــ ٣٢٧ مطولا يقول المحقق ورواه أحمد ٧٠٧ط مطولا هكذا في المجمع ٢٥٩/٣ ورجاله ثقات وقال ٢٠١/٨ ورجاله رجال الصحيح غير أبى عاصم وهو ثقة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٧١/٢ كتاب التفسير من سورة البقرة عن ابن عباس قالت هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٣) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى ٩٨/٥ ــ ٩٩ كتاب الحج باب بدء السعى بين الصفا والمروة عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس وقال رواه البخارى في الصحيح عن عبد الله عن محمد عن عبد الرزاق.

(٤) اخرجه ابن ابى شيبة ٣٢/٤ في مصنفه كتاب الحج في الذكر في الطواف عن عائشة وأخرجه أبو داود ١٧٩/٢ كتاب المناسك باب الرمل عن عائشة.
وأخرجه الترمذى ٢٤٦/٣ كتاب الحج باب ماجاء كيف ترمى الجمار عن عائشة.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرج الأزرقى[1] عن أبى هريرة قال: السنة في الطواف بين الصفا والمروة أن ينزل من الصفا ثم يمشى حتى يأتى بطن المسيل، فاذا جاءه سعى حتى يظهر منه ثم يمشى حتى يأتى المروة.

وأخرج الازرقى من طريق مسروق عن ابن مسعود أنه خرج إلى الصفا فقام إلي صدع فيه فلبى فقلت له: ان ناسا ينهون عن الاهلال ههنا، قال: ولكنى آمرك به هل تدرى. ما الاهلال ؟ انما هي استجابة موسى لربه، فلما أتى الوادى رمل وقال: رب اغفر وارحم انك أنت الأعز الأكرم.

واخرج الطبراني والبيهى في سننه عن ابن مسعود أنه قام على الصدع الذي في الصفا وقال هذا ــ والذي لا اله غيره ــ مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة[2].

قوله تعالى ﴿ومن تطوع خيرا﴾.

اخرج ابن أبى داود في المصاحف عن الأعمش قال في قراءة عبد الله «ومن تطوع بخير»[3].

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر أنه كان يدعو على الصفا والمروة يكبر ثلاثا سبع مرات يقول: لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا اله الا الله، ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، وكان يدعو بدعاء كثير حتى يبطئنا وأنا لشباب، وكان من دعائه اللهم اجعلنى ممن يحبك، ويحب ملائكتك، ويحب رسلك، ويحب عبادك الصالحين، اللهم حببنى اليك وإلى ملائكتك وإلى

---

(١) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله محمد بن عبد الله أحمد الأزرقى صاحب كتاب أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار.

(٢) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى ٩٥/٥ كتاب الحج باب الخروج إلى الصفا والمروه والسعى بينهما والذكر عليهما عن علقمه والأسود قال قال عبد الله بن سعود وذكر الحديث .

(٣) أخرجه ابن ابى داود في كتاب المصاحف ص ٥٧ عن الاعمش.

رسلك وإلى عبادك الصالحين اللهم يسرني لليسر، وجنبني للعسر، واغفر لي في الآخرة والأولى، واجعلني من الأئمة المتقين، ومن ورثة جنة النعيم، واغفر لي خطيئتي يوم الدين، اللهم انك قلت: ادعوني استجب لكم، وانك لاتخلف الميعاد، اللهم اذ هديتني للاسلام فلا تنزعه مني، ولا تنزعني منه حتى توفاني على الاسلام، وقد رضيت عني، اللهم لا تقدمني للعذاب ولا تؤخرني لسيء الفتن[1].

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب قال: من قدم منكم حاجا فليبدأ بالبيت فليطف به سبعا، ثم ليصلي ركعتين عن مقام ابراهيم، ثم ليأتي الصفا فليقم عليه مسقبلا الكعبة، ثم ليكبر سبعاً بين كل تكبيرتين حمد الله وثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ ويسأله لنفسه وعلى المروة مثل ذلك[2].

وأخرج ابن أبي شيبه في المصنف عن ابن عباس قال: ترفع الأيادي في سبع مواطن اذا قام إلى الصلاة واذا رأى البيت وعلى الصفا والمروة وفي عرفات، وفي جمع وعند الجمرات[3].

وأخرج الشافعي في الأم عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ترفع الأيدى في الصلاة واذا رأى البيت، وعلى الصفا والمروة، وعلى عرفات وبجمع وعند الجمرتين وعلى البيت[4].

قوله تعالى: ﴿فان الله شاكر عليم﴾

أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: لا شيء أشكر من الله ولا أجزى بخير من الله عز وجل.

---

(١) الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٣٩ كتاب الحج باب الطواف والرمى والاستلام عن نافع قال كان ابن عمر وذكر الحديث وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفة ١٠/٣٦٩ ـــ ٣٧٠ ـــ كتاب الدعاء عن عمر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفة ٤/٩٦ كتاب الحج عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الشافعي في الام ٢/١٦٩ كتاب الحج باب القول عند رؤية البيت عن ابن عباس.

التعقيب

بعد عرضنا لك هذا النموذج من كتاب «الدر المنثور في التفسير المأثور» وبعد أن خرجنا لك الآثار التي ذكرها تفسيرا للنص الكريم ــ ما كان ممكنا منها وإنه لكثير ــ وبقراءتك لهذه الآثار يتضح لك أمران:

الأمر الأول :

ان المؤلف ــ رضى الله عنه ــ ذكر الآثار الواردة حول هذا النص سواء المرفوع منها أو المرسل، أو الموقوف، أو ماأوثر عن التابعين، دون أن يعمل رأيا أو يناقش حكما، وهو ماذكرناه لك سابقا عن هذا المنهج.

الأمر الثاني :

ماتتناوله هذه الآثار.

١ ــ سبب نزول الآية

من المعلوم عند المشتغلين بعلوم القرآن أن ماورد في أسباب النزول نوعان.

(أ) قطعى :وأمارته أن يقال: سبب نزول الآية كذا. أو حدث كذا، أو سئل النبى ﷺ عن كذا فنزل قول الحق كذا.
وذلك بفاء تعقيبه داخلة على مادة النزول

(ب) محتمل :وأمارته أن يقول الراوى: ما أحسبه، أو ماأظنه الا نزل في كذا وهذا النوع يعتمد به شرحا للآية، واستباطا للحكم.

وباستعراض ماذكره الشيخ يتضح أنه عمد إلى ذكر ماهو قطعى في سبب النزول وماهو محتمل وقد وضح من الآثار أن السعى بين الصفا والمروة كان أمرا معروفا في الجاهلية تعظيما للأصنام، فلما جاء الاسلام ومنع عبادتها، تحرج المسلمون في السعى بينهما فأنزل الله هذه الآية الكريمة رفعا

للحرج عنهم وبيانا أنها من شعائر الله ــ والمراد بشعائر الله هنا مناسك الحج والعمرة ــ وأن كلا من النبيين ابراهيم، واسماعيل، وموسى قد سعى بينهما.

٢ ــ القراءات الواردة في الآية الكريمة، وهي وان تكن قرآنا يتلى فيستعان بها في التفسير ذكرت الآثار من القراءات: أن يطوف مثقلة، وأن يطوف، وأن لايطوف.

٣ ــ الأحكام الشرعية التي تناولتها الآية الكريمة، على ضوء ماذكر من آثار.

حكم السعى بين الصفا والمروة، وصفته وجزاء الساعين فيما يلى :

(أ) السعى بين الصفا والمروة شرع لذكر الله.
(ب) السعى بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة.
(جـ) السعى بين الصفا والمروة واجب من واجبات الحج والعمرة.
(د) السعى بين الصفا والمروة سنه.
(هـ) السعى بين الصفا والمروة تطوع.
(و) كيفية السعى بينهما.
(ز) التوجه عند الدعاء إلى البيت.
(ح) موقف الرسول ﷺ عند الصفا وعند المروة.
(ط) الاذكار الواردة في السعى.
(س) جزاء الساعين بينهما.

٤ ــ ذكر تاريخ السعـى :

ذكرت الآثار أن تاريخ السعى بين الصفا والمروة راجع إلى سعى هاجر أم اسماعيل بينهما بحثا عن الماء لتسقى ولدها، كما أشارت إلى قصة زمزم.

هذا ولم تذكر درجة بعض المرويات لأن عدم ذكرها غير مخل بالمقصود.

النموذج الثانى

مسئولية الانسان عن عمله

قال تعالى: ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى، وان تدع مثقله إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾

الآية ١٨ سورة فاطر

قال في الدر المنثور ٢٤٨/٥ ــ ٢٤٩ مانصه :
قوله تعالى: ﴿ولاتزر وازرة﴾ الآية.

أخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجة عن عمر بن الاحوص أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: ألا لا يجنى جان الا على نفسه لايجنى والد على ولده ولا مولود على والده[1].

وأخرج سعيد بن منصور وأبو داود والترمذى والنسائى وابن مرداويه عن

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٤٢٦/٣ مختصر جدا عن أبى الأحوص.
وأخرجه الترمذى في سننه ٢٧٣/٥ ــ ٢٧٤ كتاب التفسير باب من سورة التوبة عن أبى الأحوص، وأيضاً في ٤٦١/٤ ــ ٤٦٢ كتاب الفتن باب ماجاء: دماؤكم وأموالكم عليكم حرام عن أبى الأحوص.
قال أبو عيسى وفي الباب عن أبى بكرة وابن عباس وجابر وخزيمة بن عمرو السعدى وهذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه النسائى في الكبرى ٥٣ كتاب الحج باب ٢٤٣ عن أبى الأحوص وفي تحفة الأشراف ١٣٢/٨.
وأخرجه ان ماجة ١٠١٥/٢ كتاب المناسك باب الخطبة يوم النحر.

أبى رمثة قال: انطلقت مع أبى نحو النبي ﷺ، فلما رأيته قال لأبى: ابنك هذا؟: قال أي ورب الكعبة قال: أما انه لايجنى ولا تجنى عليه ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[1].

وأخرج ابن أبى حاتم عن عطاء الخراساني في قوله: وان تدع مثقلة إلى حملها «قول: أن تدع نفس مثقلة ذا قرابة أو غير ذى قرابة لايحمل عنها من خطاياها شيء.

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله: وان تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء يكون عليه وزر لايجد أحداً يحمل عنه من وزره شيئا[2].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن مجاهد رضى الله عنه في قوله: ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء﴾ كنحو ﴿لاتزر وازرة وزر أخرى﴾[3].

وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن عكرمة قال: ان الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يارب سل هذا لم كان يغلق بابه دونى: وان الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة، فيقول له: يامؤمن ان لى عندك يدا قد عرفت كيف كانت في الدنيا وقد احتجت يدك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربه، حتى يرده إلى منزله دون منزلته وهو في النار، وان الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يابنى أى والد كنت لك فيثنى خيرا، فيقول: يابنى انى احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجوبها مما ترى، فيقول له ولده: ياأبت ماأيسر ماطلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخوفت، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا، ثم يتعلق بزوجته فيقول: يافلانه أى زوج كنت لك فتثنى خيرا فيقول لها: فانى أطلب اليك حسنة واحدة تهبينها لى لعلى أنجو

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٣٥/٢ كتاب التفسير تفسير سورة الملائكة عن ابي رمثه وقال صحيح الاسناد ولم يخرجه.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٨٤/٢٢ عن ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٨٤/٢٢ عن مجاهد.

بها مما ترين، قالت ماأيسر ماطلبت، ولكنى لا أطيق أن أعطي شيئا أتخوف مثل الذي تخوفت، يقول الله: وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ الآية ويقول الله ﴿يوما لايجزى والد عن ولده﴾[1] ﴿ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه﴾[2] الآية[3].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير، وابن أبى حاتم عن قتادة في قوله ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ أي إلى ذنوبها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، قال قرابة قريبة لايحمل من ذنوبه شيئا، ولايحمل عليها غيرها من ذنوبها شيئا،

﴿انما تنذر الذي يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخشون النار والحساب.

وفي قوله ﴿ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه﴾ أي من عمل عملا صالحا فانما يعمل لنفسه وفي قوله ﴿ومايستوى﴾ الآية قال: خلق فضل بعضه على بعض فأما المؤمن فعبد حى الأثر حى البصر حى النية حى العمل، والكافر عبد ميت الأثر ميت البصر ميت القلب ميت العمل[4].

---

(١) سورة لقمان من الآية: ٣٣ والآية ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور.

(٢) سورة عبس الآيات ٣٤، ٣٥.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٥٢/٣ عن عكرمةوقال رواه ابى حاتم رحمه الله عن أبى عبد الزهرانى عن حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عكرمة به، وحيث لم نعثر على مراجع للرواية وثقناه عن الحافظ ابن كثير.

(٤) أخرجه ابن جرير في جامع البيان في تفسير القرآن ٨٤/٢٢ عن قتاده موزعا على أربعة آثار كلها عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتاده، ولعل النقل أدمج الآثار الأربعة.

التعقيب

هذا النموذج يتناول نصا كريما من نصوص القرآن الكريم المكية، أردنا أن يكون قسيما للنص الأول حتى يتضح المنهج الذي نعرضه، ومن خلال ماذكر من آثار ينكشف لنا أمران :

الأمر الأول :

ان المصنف ـــ رحمه الله ـــ أورد الآثار حول النص الكريم من لدن رسول الله (ﷺ) ومن بعده ممن حملوا دينة الينا، دون أن يعمل رأيا أو يوجه أثرا.

الأمر الثاني :

نصت الآثار التي أوردها المصنف رحمه الله ـــ على مايأتي:

(أ) أنه في يوم الحساب يكون كل انسان مشغولا بنفسه، وماجنت.

(ب) لايتحمل انسان من أوزار انسان شيئا مهما كانت قرابته، والدا كان أو ولدا أو زوجة، أو جارا.

(جـ) النبي (ﷺ) نذير لمن خاف عذاب الآخرة حيث تكون ثمرة الانذار وأمارتهم إقامة الصلاة لله قانتين.

(د) أن من عمل صالحا فانما يعمله لنفسه.

النموذج الثالث

في القصص القرآني

قال تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب، اذ دخلوا على داوُد ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط، واهدنا إلى سواء الصراط، ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة، فقال: اكفلنيها وعزني في الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم، وظن داوُد انما فتناه فاستغفر ربه، وخر راكعا وأناب، فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب.

الآيات ــ ٢٠ ــ ٢٥ من سورة ص

ونحيل القارى الكريم إلى مراجعة الدر المنثور ٥/٣٠٠ ــ ٣٠٦ حرجا من التطويل، وبتصفح الآثار الكثيرة المذكوة ايضاحا للنص الكريم نرى أن عليها مآخذ كثيرة جماع القول فيها ماذكره الحافظ ابن كثير اذ يقول:

(قد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لايصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاش عن أنس رضى الله عنه، ويزيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل، فأن القرآن حق، وماتضمن فهو حق)[١].

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣١.

وعليه فلقد أوردنا لك هذا النموذج من القصص القرآنى لنتبين من خلاله ماأخذه بعض المفسرين بالأثر عن أهل الكتاب.

وقد ذكرنا لك سابقا أن من مصادر التفسير في عصريه الأول والثاني الأخذ عن أهل الكتاب ونرى والعلم لله سبحانه وتعالى ــ أن القوم رضوان الله عليهم ــ قد قبلوا من ذلك ماجاز عندهم في حدود المسموح به ثقة منا في ايمانهم وعد التهم، وحرصهم التام على الحفاظ على قدسية النص القرآنى مع عدم تحميله مالا يحتمل.

ولبيان ذلك نورد لك ماقاله شيخ الاسلام ابن تيمية ليكون بيانا لما كان عليه السابقون وليكون ميزانا مستقيما للاحقين.

قال رحمه الله تعالى :
«.... ولهذا غالب مايرويه اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعود، وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم مايحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: (بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من النار).

رواه البخارى عن عبد الله بن عمر

ولهذا كان عبد الله بن عمر قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بمافهمه من هذا الحديث من الأذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد فانها على ثلاثة أقسام.

أحدها: ماعلمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

والثاني: ماعلمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ماهو مسكوت عنه لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل لا نؤمن به، ولا نكذب به وتجوز حكايته لما تقدم.

وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر دينى، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرا، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لابراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لافائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم.

ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربى أعلم بعدتهم، مايعلمه الا قليل، فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا، ولاتستفت فيهم منهم أحدا﴾ فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ماينبغى في مثل هذا فانه تعلى ـــ أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث فدل على صحته، اذ لو كان باطلا لرد كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال في مثل هذا، قل ربي أعلم بعدتهم فانه مايعلم بذلك الا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه، فلهذا قال: ﴿فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا﴾ أي لاتجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك فانهم لايعلمون من ذلك الا رجم الغيب.

فهذا أحسن مايكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الاقوال في ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته.

فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافا في مسألة، ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، اذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكى الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا، فان صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب أو جاهلا فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقوال متعددة لفظا، ويرجع

حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبى زور والله الموفق للصواب)[1] أ.هـ.

التعليق العام

بعدما ذكرنا لك من نماذج هذا المنهج كما عرضها صاحب الدر المنثور في التفسير بالمأثور وبقراءتك لها يتضح لك خصائصه فيما يلي:

١ ــ أن السيوطى بهذا المنهج قد أراد ــ كما نعتقد ــ أن يذكر أقوال كل من سبقه من لدن رسول الله (ﷺ) وصحابته، وتابعيهم، ومن أقتفى أثرهم.

٢ ــ أنه ترك القول برأيه في التفسير، فلم يختر قولا، أو يضف من عنده جديداً.

٣ ــ أنه لم يذكر درجة المروى من حيث القبول وعدمه بل ترك ذلك للمفسر يختار مايراه ــ باجتهاده ــ من خلال ضوابط أهل العلم أقرب إلى الصواب.

٤ ــ هذا المنهج يوقف المفسر على أقوال من سبقوه، فيعرف من تلك الآثار أقوال السلف فيقف عندها فيما لابد من الوقوف عندها فيه كالعقائد، والأحكام الشرعية، أو يزيد في الأحكام الشرعية الفرعية مايمكن أن يكون مبينا لها، أو مبينا لبعضها، مما يقتضيه البيان لربط حاضر أمته بماضيها.

٥ ــ يوقف المفسر على مابه تصلح أمته، وقد قيل: لاتصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ومن المعلوم بالنسبة لهذه الآثار كما ذكرنا لك سابقا فيما يعول عليه من هذه الآثار:

(أ) أن القول المرفوع إلى رسول الله (ﷺ) اذا صح مقبول حتما.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٣/٣٦٦ ــ ٣٦٨ ــ مقدمة التفسير.

(ب) يلى ذلك قول الصحابة رضوان الله عليهم.
(جـ) ثم يكون بعد ذلك ماكان مرسلا.
(د) ثم يأتى ماكان منسوبا للتابعين لأن هذه القرون هي خير القرون، كما ورد عن رسول الله ﷺ.
(هـ) وأما ماورد عن أهل الكتاب فالضابط في قبوله ماذكره شيخ الاسلام وقد نقلناه لك قريبا.

تنبيـــــه

ذكر السيوطى في طبقات المفسرين ٩٦ أنه قد من الله عليه بادامة مطالعة تفسير الطبرى والاستفادة منه، ورجا من الله سبحانه وتعالى أن يعينه إلى اختصاره وتهذيبة ليسهل على كل أحد تناوله.

ولم نعثر في دليل مخطوطات السيوطى عن هذا الاختصار فهل اكتفى الرجل بكتابه «الدر المنثور» عن اختصار كتابى ترجمان القرآن له، وكتاب تفسير الطبرى أم أن كتاب السيوطى في التفسير الموسوم بمجمع البحرين ومطلع البدرين وهو شرح التفسير المسمى تحرير الرواية وتقرير الدارية هل عناه باختصار تفسير الطبرى.

الأمر يحتاج إلى كبير جهد، نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفق البعض للقيام بتحقيق هذا الأمر. والله من وراء القصد.

ثانياً : التفسير بالأثر مخلوطا بالرأى

ذكرنا لك كيف وصل إلينا التفسير الآثرى، وتبين لك مما نقلناه ومن تخريجنا له مدى قوة ذلك النقل ومدى حصول الثقة ـــ ودعانا ذلك إلى توضيح معنى سبب النزول. ومتى يكون قطعيا ومتى يكون محتملا وفي المحتمل قلنا انه اما أن يكون: سببا للنزول في وقت خلو القطعى والا فهو تفسير أو ايضاح أو حكم.

وبهذا قد أزلنا شكوكا وقع فيها غيرنا ويقع فيها بعض الدارسين لكتب التفسير، وربما تأثر كثيرهم من المعاصرين بأقوال المستشرقين.

ونسوا حين تأثرهم أنه اذا استفدنا فائدة من المستشرقين فاننا نخسر في مقابلها مخاسر جمة وأبرز هذه المخاسر:

١ ـــ التجنى على المسلمين بالطعن في روايات الرواة يسلمنا ـــ ان سلمنا به ـــ إلى الطعن في كل ماهو مروى لنا. وهذا خطورته لايغفل عنها ذو بصر وان ضعف.

٢ ـــ تمكين المستشرقين من أن ينفثوا سمومهم إلى المسلمين في أقدس ماعندهم حتى تنحل الرابطة بينهم وبين ماعندهم من مقدسات ولا تظن أن هؤلاء المستشرقين وصل بهم النقاء النفسى لدرجة الاعتدال.

٣ ـــ الثقة بالمستشرق مع تقويتها من الراوى المسلم. منزلق يهوى بالمسلمين فيجرهم نحو البوار.

٤ ـــ التعلق بالمنهج العلمى ـــ المزعوم ـــ في العصر الحديث تعلق الغريق بالقشة فالذي يعرف مناهج الأقدمين المسلمين يسلم ـــ لامحالة ـــ بصواب منهجهم العلمى اليقينى عن مناهج هؤلاء المستشرقين.

٥ ــ الآخذ عن المستشرقين فيما يتعلق بما روى من مقدساتنا كمن يتعلم الفصحى عن الأعجمى الذي لايعرف الا بعض كلمات يتعامل بها في بعض شئون الحياة. ومن المؤسف أن يدفعنا هؤلاء ومن في نفسه مرض إلى فقد الثقة بعلمائنا الاجلاء فنرميهم بما ليس فيهم.

ولقد كتب بعض الدارسين المسلمين كلاما حول المرويات اذ يقول:

(... والمتبادر أنه لما كان عهد التدوين الذي راجت فيه الروايات تلقف المدونون من الأفواه الغث والثمين، والصحيح والفاسد، والمعقول وغير المعقول والملفق والمنحول والمحرف فدونوه وتناقلوه، وجعله المفسرون القديمون من عمد تفسيرهم، بل كان وظل الركن الأقوى والأوسع في التفسير.

فكان هذا التساهل من جانب المدونين أولاً والمفسرين المنفذين ثانيا باعثا على تسلسل الدور وانتقال الروايات من عهد إلى عهد دون تحفظ أو تمحيص الا قليلا حتى صارت كأنها قضايا مسلمة أو نصوص نقلية يجب الوقوف عندها والتقيد بها. أو التوفيق بينها.

وادي هذا إلى الوقوع في أخطاء وتشويشات ومفارقات كثيرة)[1].

واذا رجعنا إلى ماكتبناه في هذا البحث قبل هذا ترى أننا نقلنا لك عن علمائنا مايؤكد الثقة بنقولهم من غربلتهم للرواية، وتشددهم في قبولها. متنا وسندا.

مما يجعل الباحث المسلم على طمائنينه مطلقة فيما ينقل عنهم وخاصة اذا عرفنا صفات هؤلاء الرواة وهؤلاء المفسرين القدامى من صدقهم وعدالتهم وحرصهم على نقاء دينهم بدءا من نشأتهم إلى منتهى حياتهم.

وقريب منك في هذا البحث مأوضحناه لك مما يقوله أهل القرآن من المسلمين في أسباب النزول ومايعتمد عليه فيها، وموقف المفسر من تعدد الروايات في سبب نزول الآية الواحدة ومن أدرك ذلك مايجد ألبتة تضاربا بين سببين من أسباب النزول لآية واحدة، فلقد تتعدد الطرق فاذا اتحدت

(١) القرآن المجيد محمد دروزة ص ٢١٨.

في الصيغة فهى مقوية والا فهى من النوع الثاني الذي حدثناك عنه وهو الاحتمال أو التفسير والبيان أو بيان الحكم. من خلال عرضنا لمنهج التفسير بالأثر المجرد. وأيضا ماسيتضح أمامك من خلال عرضنا للتفسير الأثرى المخلوط بالرأى ــ على أننا سنضع أمامك في عرض هذا النوع من التفسير ما يجعلك على ثقة منه ــ على أنه ينبغى التنبيه إلى أمر هام وهو أنه لم يصل إلينا تفسير[1]. كامل ومكتوب ومدون ومتناقل وموثوق بسنده إلى صاحبه قبل تفسير الامام الطبرى الموسوم بجامع البيان في تفسير القرآن وهذا التفسير يمثل النوع الثاني من مناهج المفسرين وهو التفسير بالأثر المخلوط بالرأى.

وسنبدأ في عرضنا لهذا المنهج بهذا التفسير المبارك.

وليكن على ذكر منك أننا أشرنا أليك سابقا أن بعض هذا المأثور في التفسير تلقى عن رسول الله ﷺ. وبعضه عن الصحابة الذين قدر الله أن يكونوا حملة هذا الدين إلى من بعدهم.

وبناء على ذلك فاننا نكاد نجزم أن الحلقة المقدسة في مروياتنا المأثورة لم تنفصم في مرحلة من المراحل حسب مانعتقد بناء على ما مقدمنا لك مما نؤمن به عن علمائنا ــ اللهم الا أن يكون شيئا في بعض النفوس من الدارسين ــ وهذا حفظنا الله وله الحمد على ذلك ــ منه وينبغى أن ننبه القارىء الكريم إلى ان ابن جرير لم يكن الرائد في هذا اللون من التفسير. بل سبقته إلى ذلك مدرستان أولهما مدرسة ابن عباس في مكة المكرمة ومن هو ابن عباس في علمه وورعه.

---

(١) يوجد تفسير للإمام يحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠ هـ، لكنه لاتوجد منه نسخة كاملة في مدى علمنا، كما أنه ليس من غرضنا عرض كل أصحاب التفاسير، فلا يلزمنا أن نعرض له، لكننا للافادة سنحدثك عنه بعد ذكر ماسنذكره من أصحاب هذا المنهج أيضا للفائدة وتأكيداً لاتصال حلقة التفسير التي ظهرت خلال عرضنا لكتابنا.

والثانية مدرسة ابن مسعود بالكوفة ولايوجد من المسلمين من يجهل قدر ابن مسعود وعلى هذا الهدى كان مسار أصحاب التفسير بالأثر المخلوط بالرأى. الذي حرص ابن جرير على أن ينقله. إلى الأمة كاملا يستوعبه الحاضر والقادم فلقد أودع كتابه العظيم عند عرضه للآية القرآنية الدلالة اللغوبية مستشهدا عليها بفصيح تنوقل عن فصحاء ـ ثم يتوج ذلك بما أثر عن سلفه من المسلمين في توضيح الآية.

من لدن رسول الله ﷺ حسب مابيناه لك سابقا، كما يفعل ذلك أيضا في الأحكام الشرعية، ويفعله في القراءات القرآنية.

وهاك أياه ومنهجه من خلال النماذج التي سنعرضها عليك من كتابه.

جامع البيان في تفسير القرآن
لابن جرير الطبرى

التعريف بصاحب الكتاب :

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبرى أبو جعفر الامام العالم الحافظ أحد الأعلام وصاحب التصانيف القيمة.

مولـــده:

كان مولده في أواخر عام ٢٢٤ هـ ــ وقيل في مفتتح عام ٢٢٥ بآمل عاصمة اقليم طبرستان، ولعل هذه التسمية أطلقت من خلال طبيعة المناخ لأن هذا الاقليم جبلى مشبع، سكانه أهل حرب، وأكثر أسلحتهم الأطبار.

نشأتــه وثقافتــه:

ان في حياة الاعلام مايؤكد بحق نظرية الاسلام في الأخلاق الفعلية. وقيمة الانسان تتمثل في مقدار ارتباطه بدينة، والقيمة التي يحرص الاسلام على تحقيقها في نفوس المؤمنين به ليست ضربا من الكلمات الجوفاء والعبارات المصطنعة ولكنها عبارة عن فعل يعقبه قول، أو قول يعقبه فعل ماينطق به الانسان المؤمن بهذا الدين السامى وهذه هي الركيزة الأولى لبيان قيمة الفرد الذي تحقق على يدية هداية الناس وعليه هو مصدر قيمته وسموه.

ولقد كان الطبري منذ نعومة أظفاره يهيأ لهذه المهمة الخطيرة، فسوف يقترن اسمه بأسمى قيمة ــ القرآن العظيم.

لقد قال عن نفسه : (رأى لى أبى في النوم أنى بين يدى رسول الله (ﷺ) ومعى مخلاة مملوءة بالأحجار، وأنا أرمى بين يدية.

وقص رؤياه على المعبر فقال له: ان ابنك ان كبر نصح في دينه، وذب عن شريعته فحرص أبى على معونتى على طلب العلم، وأنا حينئذ صبى صغير).

ولعلك معى أن هذا كان بمثابة التوجيه إلى العناية بهذا الناشىء وما أعظم عنايته سبحانه وتعالى ــ بمن سيقومون بتوجيه الناس وخاصة في أمور دينهم.

ويتضح ذلك جليا فيما يرسمة لنا الطبرى عن خطوط نشأته الدينيه اذ يقول : (حفظت القرآن ولى سبع سنين وصليت بالناس وأنا ابن ثمانى سنين وكتبت الحديث وأنا في التاسعة) وينعكس ذلك على حياته كلها، فنراه كان آية في قراءة القرآن الكريم حفظا وتجويدا وتأثيرا حتى هفا إليه القريب والبعيد، من حفظ، ومن لم يحفظ ليصلوا خلفه، ويستمعون لقراءته وتجويده.

يقول على الطومارى: (كنت أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدى أبو بكر بن مجاهد لصلاة التراويح، فخرج ليلة من ليالى العشر الأواخر من داره، ومررنا على مسجده في جنازه ولم يدخله وسار حتى وقف على باب مسجد الطبرى، وكان الطبرى يقرأ سورة الرحمن فاستمع لقراته طويلا ثم انصرف فقلت له: يأستاذ تركت الناس ينتظرونك وجئت تسمع قراءة هذا، قال: يأبا على دع عنك مما ظننت، ان الله خلق بشرا يحسن أن يقرأ هذه القراءة).

ولقد كان الطبرى رحمه الله نموذجا لتطبيق تعاليم الاسلام الدينيه، والأخلاقيه، والاجتماعية فهو شديد التوخى والحذر مما ينافى التدين والورع، وكان على قسط كبير من النزاهة يقول ابن كامل: (مارأيت أظرف أكلا من أبى جعفر كان يدخل يده في الغضارة ــ القصعة الكبيرة ــ فيأخذ منها لقمة، فاذا عاد يأخذ كسح باللقمة مالطخ من الغضارة باللقمة الأولى فكان لايلطخ من الغضارة الا جانبا واحداً.

وكان اذا تناول اللقمة ليأكل سمى، ووضع يده اليسرى على لحيته، ليقيها من الزهومة رائحة السمن ــ فاذا جعلت اللقمة في فمه أزال يده.

وكان اذا جلس لايكاد يسمع له تتخم ولا تبصق، ولا ترى له نخامة، واذا أراد أن يمسح ريقه أخذ ذؤابة منديلة يمسح بجانب فمه.

من خلال ماذكر عن سيرته كان يوقن أن العلم سلوك يوضح ذلك بالقول والفعل معا ويظهر ذلك جليا في كتابه (أداب النفوس) حيث حشد فيه من المسالك الفعلية مايعطى صورة صادقة عما ذكرنا..

ويرى ذلك واضحا جليا في تصرفاته مع العلماء الذين يناقشهم فيتفق معهم أو يختلف فهو عف المناقشة عف الغيبة محبا الخير للناس جميعا متمنيا لهم التوفيق من خالفه ومن أيده على حد سواء.

ولقد كان عزوفا عن المال وحب الدنيا، ولا يبيع دينه بدنياه مهما كان الثمن عزيز النفس وكان يعف تماما عن المكافأة اذا كانت عن عمل دينى، فهو يرى أن التأليف الدينى زكاة علمية عليه.

قال أبو محمد الفرغاني : (كان ابن جرير ممن لا تأخذه في الله لومة لائم مع عظيم مايلحقه من الأذى، والشناعات من جاهل وحاسد، وملحد.

فأما أهل العلم والدين فغير منكرين علمه وزهده في الدنيا ورفضه لها، وقناعته باليسير «سمع من أحمد بن منيع وأبي كريب، وهند بن السرى، يونس بن عبد الأعلى وخلائق وروى عنه الطبرانى وأحمد وطائفة.

وأما عن مذهبه فيقول السيوطى : (وكان أولا شافعيا ثم انفرد بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات وله أتباع ومقلدون) ولكن أتباعه انقرضوا.

ويحدثنا الخطيب البغدادى عن احاطته بضروب المعرفة: (كان أحد ائمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات بصير بالمعانى فقيها بأحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها وصحيحها، وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من المخالطين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام عارفا بأيام الناس، وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في (تاريخ الأمم والملوك) وكتاب

(التفسير) الذي لم يصنف أحد مثله، وكتاب (تهذيب الآثار) لم أر سواه في معناه الا أنه لم يتمه، وكتاب حسن في القراءات سماه (الجامع) وله في أصول الفقة وفروعه كتب كبيره واختيار من أقاويل الفقهاء وانفرد بمسائل حفظت عنه ...

ويقول: (وسمعت على بن عبد الله بن الغفار اللغوى يحكى أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين وريقة).

وقال ابن خزيمة : (ماأعلم على أديم الأرض أعلم منه).

وفاتة :

توفي سنة ٣١٠ هـ ببغداد[١].

رحمه الله رحمة واسعة، وأجزل له العطاء من خلال ما قدم من قول وفعل لهداية بنى الانسان.

---

(١) انظر ذلك مع زيادات في:

البداية والنهاية ١١/١٤٥ تاريخ بغداد ٢/١٦٢.

تذكر الحفاظ ٢/٧١٠ تهذيب الاسماء واللغات ١/٧٨.

شذرات الذهب ٢/٢٦٠ طبقات الشافعية للسبكى ٣/١٢٠.

طبقات القراء لابن الجزرى ٢/١٠٦ ميزان الاعتدال ٣/٤٩٨.

وفيات الاعيان ٣/٣٣٣ طبقات الحفاظ ص ٣٠٧ ــ ٣٠٨.

طبقات المفسرين للسيوطى ص ٩٥ ــ ٩٧ طبقات المفسرين للداودى ٢/١٠٦ ــ ١١٤.

جامع البيان في تفسير القرآن
ومنهج مؤلفه فيه

التعريف بــه :

يكاد الاجماع ينعقد ممن يعتد بهم من العلماء أن جامع البيان في تفسير القرآن من المؤلفات النادرة الجامعة لمن سبقها من العصور، فتعطى صورة واضحة لما كان عليه التفسير منذ العصر الأول حتى مطلع القرن الرابع مؤكدا قيمة التفسير بالمأثور ومدى الحرص عليه، وان كان في الوقت نفسه من المراجع ذات الأهمية للتفسير العقلى فلقد جمع بين الآراء واعتمد ماأرتآة صحيحا من وجهه نظره، وزاد استنتاج الأحكام، فهو جامع بين النقل والعقل.

ويقع جامع البيان في تفسير القرآن في ثلاثين جزءا من الحجم الكبير ولم يقدر الله سبحانه وتعالى له ـــ الظهور والتداول الا من عهد قريب حيث وجدت نسخة مخطوطة في حيازه أمير منطقة حائل الأمير حمود بن الامير عبد الرشيد من أمراء نجد طبع عليها الكتاب الذي بين أيدينا الآن[١].

ويحكى الطبرى فيقول: (استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على مانويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعاننى ....

وروى القاضى أبو عبد الله بن سلامة (... أن أبا جعفر قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة، قالوا: هذا مما يفنى الأعمار قبل تمامه، فأختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة)[٢].

---

(١) انظر المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ص ٨٦، والتفسير والمفسرون ٢٠٧/١ ـــ ٢٠٨.

(٢) طبقات المفسرين للداؤدى ١١٣/٢.

شهـادة العلمـاء لـه :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: (تفسير محمد بن جرير الطبرى هو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً)[1].

وقال حين سئل: أي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة ...

أما التفاسير التي في ايدى الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبرى، فانه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتهمين)[2].

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني في تاريخه[3]. (فسم ــ يعنى محمد بن جرير كتاب تفسير القرآن وجوده وبين فيه أحكامه وناسخه ومنسوخه ومشكله وغريبه ومعانية واختلاف أهل التأويل والعلماء في أحكامه وتأويله والصحيح لدية من ذلك واعراب حروفه، والكلام على الملحدين فيه والقصص وأخبار الأمة، والقيامة، وغير ذلك مما حواه من الحكم والعجائب كلمة كلمة، وآية آية من الاستعاذه وإلى أبى جاد.

فلو ادعى عالم أن يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوى على علم مفرد عجيب مستقصى لفعل)[4].

وقال ابن خزيمة: قد نظرت فيه ــ يعنى تفسير ابن جرير ــ من أوله إلى آخره، وما أعلم على اديم الأرض أعلم من محمد بن جرير)[5].

وقال : (نولوكا) في سنة ١٨٦٠م لو كان بيدنا هذا الكتاب ــ يعنى تفسير ابن جرير ــ لا استغنينا به عن كل التفاسير المتأخرة.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٦١/١٣ مقدمة التفسير.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ٣٨٥/١٣ مقدمة التفسير.

(٣،٤) وهو معروف بكتاب الصلة وهو كتاب وصل به تاريخ ابن جرير طبقات المفسرين الداوُدى ١١١/٢.

(٥) طبقات المفسرين للداوُدى ١١١/٢.

ومع الأسف فقد كان يظهر أنه مفقود تماماً. وكان مثل «التاريخ الكبير» مرجعا لايفيض معينة أخذ عنه المتأخرون معارفهم[1].

وقال السيوطى: (وله التفاسير العظيمة منها تفسير القرآن وهو من أجل التفاسير لم يؤلف مثله كما ذكر العلماء قاطبة منهم النووى في تهذيبة وذلك لأنه جمع فيه بين الرواية والدراية ولم يشاركه في ذلك أحد لاقبله ولا بعده ...

ويقول قلت: قد من الله على بادامة مطالعته والاستفادة منه وأرجوا أن أصرف العناية إلى اختصاره وتهذيبه ليسهل على كل أحد تناوله أن شاء الله تعالى)[2].

منهجـه في تأليفـه :

يحدد الامام الطبرى منذ البداية الأولى لدخوله في كتابه منهجه مؤكدا مدى حرصه على ايداع كتابه التراث التفسيرى العظيم ــ حيث كانت الحاجة ماسة إليه في وقته وأنت خبير أنه بعد مرور عشرة قرون من الزمان ونحن ننظر فيه وحاجتنا إليه أمس ــ ذلك أنه ينبه إلى الاختلاف ــ ان كان ــ وإلى الاجماع ان وجد والى رأيه هو بعد ذلك.

وندع الامام الطبرى يحدثنا عن منهجه وعن غايته وعن جهده فيه فيقول:

(... أعلموا عباد الله ــ رحمكم الله ــ أن أحق ماصرفت إلى عمله العناية، وبلغت في معرفته الغاية ماكان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأنا اجمع ذلك لغاية كتاب الله الذي لاريب فيه، وتنزيله الذي لامرية به الفائز بجزيل الذكر، وسنا الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ونحن في شرح تأويله وبيان مافيه من معانية منشئون ان شاء الله ذلك كتابا مستوعبا لكل مابالناس إليه حاجة من علمه جامعا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيا، وتحبرون

---

(١) التفسير والمفسرون ٢٠٩/١ ــ المذاهب الاسلامية في التفسير ٨٥.

(٢) طبقات المفسرين للسيوطى ٥٦.

في كل ذلك بما انتهى الينا من انفاق الحجة فيما اتفقت عليه الأمة واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينوا علل كل مذهب من مذاهبهم، وموضحوا الصحيح لدينا من ذلك بأوجز ماأمكن من الايجاز في ذلك، وأخصر ماأمكن من الاختصار فيه.

والله نسأل عونه وتوفيقه لما يقرب من مجابه ويبعد من مساخطة وصلى الله على صفوته من خلقة وعلى آله وسلم تسليما كثيرا[1].

وهذا النص يوضح لنا غاية الطبرى من الاقدام على تفسير القرآن الكريم، وماسيحرص عليه فيه ثم يبين أن هذه الغاية لابد لها من وسيلة منها: العلوم العربية ومعرفة مناحى العرب في القول فيعقد لذلك فصلا ويسميه :

(القول في البيان عن اتفاق معاني آى القرآن، ومعانى منطق من نزل بلسانه من وجه البيان والدلالة على أن ذلك من الله جل وعز هو الحكمة البالغة مع الابانة عن فضل المعاني الذي به باين القرآن سائر الكلام)[2].

وبعد اثباته عربية القرآن يوجز مافصله فيقول: (قد قلنا في الدلالة على أن القرآن كله عربى وأنه نزل بألسن بعض العرب دون ألسن جميعها. وأن قراءة المسلمين اليوم ومصاحفهم التي هي بين أظهرهم ببعض الألسن التي نزل بها القرآن دون جميعها.

وقلنا في البيان عما يحويه القرآن من النور والبرهان والحكمة والبيان التي أودعها الله اياه من أمره ونهيه وحلاله وحرامه، ووعده ووعيده، ومحكمة ومتشابهه، ولطائف حكمة مافيه الكفاية لمن وفق لفهمه)[3].

ثم يعلن عن خطته المسلوكة في جامع البيان في تفسير القرآن في فصل بعنوان: (القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن)[4].

---

(١) تفسير الطبرى ٤٠٣/١.
(٢) تفسير الطبرى ٤/١.
(٣) تفسير الطبرى ٢٥/١.
(٤) تفسير الطبرى ٢٥/١.

ولقد قسم فيه آيات القرآن الكريم إلى أقسام ثلاثه استخلصها من آيات القرآن ليكون سيره على منوالها :

القسم الأول : ما استأثر الله فيه بعلم مافي النص من المعاني مفصلا.
القسم الثاني : مايرجع فيه إلى الرسول (ﷺ) بحق أنه أمين الله ــ سبحانه وتعالى ــ على وحيه.
القسم الثالث : ماهو مباح لكل أحد له ثقافة لغوية تفسيرية.

وندع الطبرى رحمه الله ــ يوضح لنا خطته ليتبين لنا فكره التفسيرى من خلال عرضه لأن صاحب الفكرة هو أخبر الناس بعرضها فنراه يقول :

ونحن قائلون في البيان عن وجوه مطالب تأويله :

قال الله جل ذكره وتقدست أسماؤه لنبيه محمد (ﷺ) : ﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾.

وقال جل ذكره: ماأنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.

وقال: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا ألو الالباب﴾ فقد تبين بيان الله جل ذكره.

(أ) ان مما أنزل الله من القرآن على نبيه مالا يوصل إلى علم تأويله الا ببيان الرسول ﷺ وذلك تأويل جميع مافيه من وجوه أمره وواجبه ومندوبه وارشاده وصنوف نهيه ووظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ومأأشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك الا ببيان رسوله ﷺ لأمته.

وهذا وجه لايجوز لأحد القول فيه الا ببيان رسول الله (ﷺ) له بتأويله بنص منه عليه أو بدلاله قد نصبها دالة أمته على تأويله.

(ب) وأن منه مالا يعلم تأويله الا الله الواحد القهار وذلك مافيه من الخبر عن آجال حادثة وأوقات آتيه كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور ونزول عيسى ابن مريم وما أشبه ذلك.

فان تلك أوقات لايعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد تأويلها الا الخبير بأشراطها لاستئثار الله بعلم ذلك على خلقه.

وكذلك أنزل ربنا في محكم كتابه فقال: يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون).

وكان نبينا ﷺ اذا ذكر شيئا من ذلك لم يدل عليه الا بأشراطه دون تحديده بوقت كالذي روى عنه (ﷺ) أنه قال لأصحابه: اذا ذكر الدجال: ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجة، وان يخرج بعدى فالله خليفتى عليكم.

وما أشبه ذلك من الأخبار التي يطول باستيعابها الكتاب الدالة على أنه ﷺ لم يكن عنده علم بأوقات شيء منه بمقادير السنين والأيام وأن الله جل ثناؤه انما كان عرفة مجيئه بأشراطه ووقته بأدلته.

(جـ) وان منه مايعلم تأويله كل ذي علم باللسان الذي نزل به القرآن، وذلك اقامة اعرابه ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها والمواصفات بصفاتها الخاصة دون ماسواها، فان ذلك لايجهله أحد منهم.

وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلوه ﴿واذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون، ألا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون﴾.

لم يجهل أن معنى الافساد هو ماينبغى تركه مما هو مضرة.

وأن الأصلاح هو ماينبغى فعله مما فعله منفعة.

وان جهله المعانى التي جعلها الله افساداً، والمعاني التي جعلها الله اصلاحا فالذى يعلمه ذوو اللسان الذي بلسانه نزل القرآن عن تأويل القرآن هو ماوصفت من معرفته أعيان المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتها الخاصة دون الواجب من أحكامها وصفاتها، وهيآتها التي خص الله بعلمها نبيه (ﷺ) فلا يدرك علمها الا ببيانه وممن استأثر الله بعلمه دون خلقه وبمثل ماقلنا من ذلك روى الخبر عن ابن عباس ...

عن أبى الزناد قال: قال ابن عباس : التفسير على أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لايعلمه الا الله.

قال أبو جعفر، وهذا الوجه الرابع الذي ذكره ابن عباس من أن أحدا لايعذر بجهالته معنى غير الابانه عن وجوه مطالب تأويله، وانما هو خبر عن أن من تأويله مالا يجوز لأحد الجهل به.

وقد روى بنحو ماقلنا في ذلك أيضاً عن رسول الله (ﷺ) قال:

نزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لايعذر أحد بالجهالة، وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب)[1].

وبعد أن اتضح فكر الطبرى عن خطته من خلال هذا الايضاح لموقفه من آيات الذكر الحكيم فنراه يجنح إلى بيان التيارات الفكرية ممثلة في تيار قوى تتحكم فيه النزعات العقلية التي أتاحت لنفسها تفسير النص القرآنى وفق الهوى العقلى أو المبدأ الفكرى للمذهب الذي تدين له. كما هو الحال عند المعتزلة والشيعة وبعض الفرق الأخرى.

فيحشد أمامنا النصوص النقلية للنهى عن التفسير بالرأى في فصل

(١) تفسير الطبرى ١/٢٥ ــ ٢٦.

تحت عنوان (ذكر بعض الأخبار التي رويت بالنهى عن القول في تأويل القرآن بالرأى)[1].

وبعد ايراد الأدلة يعقب الطبرى فيقول :
(وهذه الأخبار شاهد لنا على صحة ماقلنا من أن ماكان من تأويل أي القرآن الذي لايدرك علمه الا بنص بيان رسول الله (ﷺ) أو بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لأحد القول فيه برأيه بل القائل في ذلك برأيه وان أصاب الحق فيه فمخطيء ....)[2].

وبعد بيانه لموقفه من التفسير بالرأي ينتقل إلى من يرغب في التفسير مؤكدا قيمته ذاكرا أعلامه المشهود لهم بالعلم والفضل، فيفرد لذلك فصلا بعنوان (ذكر بعض الأخبار التي رويت في الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة)[3].

وبعد ذكره الأخبار التي تحض على التفسير يسوق الطبرى آيات قرآنية لتقوية تلك الأخبار فيكون من الخبر والنص القرآنى الدليل القوى على ماذهب اليه في خطته.

وبعد فلقد عرضت لك منهج الطبرى في تفسيره كما عرضه هو، وكما فصلناه لك عنه، وسنعرض عليك نماذج من تفسيره تبين لك أمرين:

أولهما: انها تبين لك بالمثال التطبيقى المنهج الذي عرضناه لك.
ثانيهما: انك تستطيع أن تميز الفرق بين هذا المنهج والمنهج الذي سبقه وهذا هو مادعانا إلى توحيد النماذج في منهجى التفسير بالمأثور الصرف والمأثور المخلوط بالرأى.

---

(١) تفسير الطبرى ١/٢٦ — ٢٧.
(٢) انظر تفسير الطبرى ١/٢٧.
(٣) انظر تفسير الطبرى ١/٢٧.

نماذج من هذا التفسير ودراستها

سيكون منهجنا بعون الله تعالى ــ في عرض النماذج أن ننقل لك النموذج من الكتاب ذاكرين ترجمة للذين روى عنهم من المحدثين، عدا ماخرجناه من منهج التفسير المأثور، ثم نبين مدى انطباق منهجه من خلال ماسار عليه.

النموذج الأول :

في الاحكام

قال تعالى :﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم﴾.
الآية ١٥٨ ــ سورة البقرة

قال في جامع البيان في تفسير القرآن ٢٦/٢ ــ ٣٢ مانصه (القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾) والصفا جمع صفاة وهي الصخرة الملساء، ومنه قول الطرماح:

أبي لى ذو القوى والطول الا يونس حافر أيدى صفاتي

وقد قالوا ان «الصفا» واحد وأنه يثنى صفوان، ويجمع أصفاء، وصفيا واستشهدوا على ذلك بقول الراجز:
كأن متنية من النفس مواقع الطير على الصفى

وقالوا هو نظير عصا وعصى، ورحى ورحي، وأرجاء.
وأما المروة فانها الحصاة الصغيرة يجمع قليلها مروات وكثيرها المرو مثل ثمرة، وثمرات وثمر، قال الأعشى ميمون بن قيس:

وترى بالأرض خفا زائلا فاذا ماصادف المرو رضح

يعنى بالمرو الصخر الصغار، ومن ذلك قول أبى ذويئب والهذلى.

حتى كأني للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تفرع

ويقال المشعر

وانما عنى الله ــ تعالى ذكره ــ بقوله ﴿ان الصفا والمروة﴾ في هذا الموضع الجبلين المسمين بهذين الاسمين اللذين في حرمه دون سائر الصفا والمروة ولذلك أدخل فيهما الألف واللام ليعلم عباده أنه عنى بذلك الجبلين المعروفين بهذين الاسمين دون سائر الصفا والمروة.

وأما قوله ﴿من شعائر الله﴾ فانه يعنى من معالم الله التي جعلها ــ تعالى ذكره ــ لعباده معلما ومشعرا يعبدونه عندها اما بالدعاء، واما بالذكر واما بأداء مافرض عليهم من العمل عندها، ومنه قول الكميت.

تقلتهم جيلا فجيلا تراهم شعائر قربان بهم يتقرب

وكان مجاهد[1] يقول في الشعائر بما حدثنى به محمد بن عمرو[2] وقال ثنا أبو عاصم[3] عن عيسى[4] عن ابن أبى نجيح[5] عن مجاهد: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ قال : (من الخير الذي أخبركم عنه).

(١) هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكى المخزومى عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة توفى سنة ١٠٠ هـ وقبل ١٠٤ هـ ــ انظر تذكرة الحفاظ ٩٢/١ وتهذيب التهذيب ٤٢/١٠ وطبقات المفسرين الدوُدى ٣٠٥/٢، ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣.

(٢) هو الحافظ الثقة محمد بن عمرو الموجه الفزارى اللغوى المروزى توفى سنة ٢٨٢ بمرو أنظر تذكرة الحفاظ ٦١٥/٢، وطبقات الحفاظ ٢٧٠.

(٣) هو أبو عاصم الضحاك بن مخلد بن الضحاك الشيبانى البصرى النبيل الحافظ كان فقيها حافظا عابدا ثقه توفى سنة ٢١٢هـ. انظر تذكرة الحفاظ ٣٦٦/١ طبقات الحفاظ ١٥٦.

(٤) هو عيسى بن يونس بن أبى اسحاق السيعى الكوفى روى عنه حماد بن سلمه، وابن المدين، وابن معين توفى ١٨١هـ. انظر تذكرة الحفاظ ٢٧٩/١ طبقات الحفاظ ١١٨.

(٥) هو عبد الله ابن أبى نجيح يسار المكى أبو بشار الثقفى ثقة توفى ١٣١ هـ انظر تهذيب الذيب ٤٥٦/١ وطبقات الحفاظ ٤٣، ١١٠.

حدثنى المثنى[1] قال ثنا أبو حذيفة[2] قال : ثنا شبل[3] عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله.

فكأن مجاهدا كان يرى أن الشعائر انما هو جمع شعيره من شعار الله عبادة أمر الصفا والمروة وماعليهم في الطواف بهما، فعناه اعلامهم ذلك.

وذلك تأويل من المفهوم بعيد.

وإنما أعلم الله ــ تعالى ذكره ــ بقوله ﴿ ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ عبادة المؤمنين أن السعي بينهما من شعائر الحج التي سنها لهم وأمر بها خليله ابراهيم ﷺ، إذ سأله ان يريه مناسك الحج وذلك وان كان مخرجه مخرج الخبر فأنه مراد به الامر لأن الله ــ تعالى ذكره ــ قد امر نبيه محمدا ﷺ باتباع ملة ابراهيم عليه السلام فقال له: ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وجعل تعالى ذكره ــ ابراهيم اماما لمن بعده.

فاذا كان صحيحا أن الطواف والسعي بين الصفا والمروة من شعائر الله، ومن مناسك الحج فمعلوم أن ابراهيم ﷺ قد عمل به، وسنه لمن بعده، وقد أمر نبينا (ﷺ) وأمته باتباعه فعليهم العمل بذلك على مابينه رسول الله (ﷺ).

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فمن حج البيت أو اعتمر﴾.
يعنى ــ تعالى ذكره ــ فمن حج البيت فمن أتاه عائدا اليه بعد بدء، وكذلك كل من اكثر الاختلاف إلى شيء فهو حاج اليه، ومنه قول الشاعر:

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا

---

(١) هو المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصارى توفى سنه ٢٥٠هـ ــ تذكرة الحفاظ ٣٧١/١، وتاريخ التراث ١٦٧/١.
(٢) أبو حذيفة له ترجمة في تقريب التهذيب ١٥٦/١.
(٣) شبل أنظر تاريخ التراث العربي ٨٢/١ وتقريب التهذيب ٣٤٦/١.

يعنى بقوله يحجون يكثرون التردد إليه، لسؤدده ورياسته.

وانما قيل للحاج حاج لأنه يأتى البيت قبل التعريف، ثم يعود إليه لطواف يوم النحر بعد التعريف، ثم ينصرف عنه إلى منى ثم يعود إليه لطواف الصدر، فلتكرار العود إليه مرة بعدأخرى قيل له حاج.

وأما المعتمر فانما قيل له معتمر لأنه اذا طاف به انصرف عنه بعد زيارته اياه وانما يعنى تعالى ذكره ـــ بقوله ﴿أو اعتمر﴾ أو اعتمر البيت ويعنى بالاعتمار الزيارة، فكل قاصد لشيء فهو له معتمر ومنه قول العجاج.

لقد سما ابن معمر حين اعتمر مغزى بعيدا من بعيد وضبر

يعنى بقوله حين اعتمر حين قصدة وأمه.

القول في تأويل قوله تعالى: فلا جناح عليه أن يطوف بهما.

يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ يقول : فلا حرج عليه ولا أثم في طوافه بهما.

فأن قال قائل: وماوجه هذا الكلام وقد قلت لنا: ان قوله : ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ وان ظاهره ظاهر الخبر فانه في معنى الأمر بالطواف بهما فكيف يكون أمرا بالطواف ثم يقول «لاجناح على من حج البيت أواعتمر في الطواف بهما وانما يوضع الجناح عن من أتى ماعليه باثباته الجناح والحرج، والأمر بالطواف بهما والترخيص في الطواف بهما غير جائزا اجتماعهما في حال واحدة.

قيل : ان ذلك بخلاف ماإليه ذهب.

وانما معنى ذلك عند أقوام أن النبى (ﷺ) لما اعتمر عمرة القضية تخوف أقوام كانوا يطوفون بهما في الجاهلية قبل الاسلام لصنمين كانا عليهما تعظيما منهم لهما فقالوا:

وكيف نطوف بهما وقد علمنا أن تعظيم الاصنام وجميع ماكان يعبد من ذلك من دون الله شرك، ففي طوافنا بهذين الحجرين أحد ذلك، لأن الطواف

بهما في الجاهلية انما كان للصنمين اللذين كانا عليهما، وقد جاء الله بالاسلام اليوم ولاسبيل إلى تعظيم شيء مع الله بمعنى العبادة له فأنزل الله تعالى ذكره في ذلك من أمرهم: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ يعني أن الطواف بهما، فترك ذكر الطواف بهما اكتفاءا بذكرهما عنه، وان كان معلوما عن المخاطبين به ان معناه: من معالم الله التي جعلها علما لعبادة يعبدونه عندهما بالطواف بينهما، ويذكرونه عليها وعندهما بما هو له أهل من الذكر.

فمن حج البيت أو اعتمر فلا يتخوفن الطواف بهما من أجل ماكان أهل الجاهلية يطوفون بهما من أجل الصنمين الذين كانا عليهما، فان أهل الشرك كانوا يطوفون بهما كفرا وأنتم تطوفون بهما ايمانا وتصديقا لرسلى وطاعة لأمرى فلا جناح عليكم في الطواف بهما والجناح الأثم كما حدثنى موسى[1] بن هارون قال: ثنا عمرو[2] قال: ثنا: أسباط[3] عن السدى[4] فلا جناح عليه أن يطوف بهما يقول ليس عليه اثم ولكن له اجر وبمثل الذي قلنا في ذلك تظاهرت الروايات عن السلف من الصحابة والتابعين.

ذكر الأخبار التي رويت بذلك :

حدثنا محمد[5] بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ثنا يزيد[6] بن زريع

---

(١) هو موسى بن هارون بن مروان الحافظ الامام الحجة أبو عمران بن المحدث أبى موسى الحماد البغدادى محدث أهل العراق وهو ثقة حافظ توفى سنة ٢٩٤ انظر طبقات الحفاظ ٢٩٢.

(٢) هو عمرو بن عثمان بن سعيد الحمصى ثقة حافظ توفى سنة ٢٥٠ انظر طبقات الحفاظ.

(٣) انظر طبقات الحفاظ ٢٢١.

(٤) انظر طبقات الحفاظ ٢٢.

(٥) هو محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب الأموى صدوق من كبار العاشرة توفى سنة ١٤٤ هـ تقريب التهذيب ٢/١٨٦.

(٦) هو يزيد بن زريع العبشى أبو معاوية البصرى ثبت ثقة حجة كثير الحديث توفى ١٨٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ١٦٢.

قال: ثنا داوُد[1] عن الشعبي[2] أن وثنا كان في الجاهلية على الصفا يسمى ايساف ووثنا على المروة يسمى نائلة وكان أهل الجاهلية اذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين فلما جاء الاسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون: ان الصفا والمروة انما كان يطاف بهما من أجل الوثنين، وليس الطواف بهما من الشعائر قال: فأنزل الله أنهما من الشعائر فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما.

حدثنا محمد[3] بن المثنى قال: ثنا عبد الوهاب[4] قال: ثنا داوُد عن عامر قال: كان صنم بالصفا يدعى ايساف، ووثن بالمروة يدعى نائلة ثم ذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب وزاد فيه فذكر الصفا من أجل الوثن الذي كان عليه وأنث المروة من أجل الوثن الذي كان عليه مؤنثا.

حدثني يعقوب[5] بن ابراهيم قال: ثنا بن عليه[6] عن داوُد ابن أبي هند عن الشعبى وذكر نحو حديث ابن أبي الشوارب عن يزيد وزاد فيه قال: فجعله الله تطوع خير.

---

(١) هو داود بن أبي هند القشيرى البصرى حافظ ثقة جيد الاسانيد رفيع القدر توفى سنة ١٤٠ ه انظر تذكرة الحفاظ ١/١٤٦.

(٢) الشعبى هو عامر بن شرحبيل أبو عمر الكوفى ادرك خمسمائة من الصحابة كان عالما جليل القدر حافظا توفى سنة ١٠٣ هـ وقيل ١١٠ هـ انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٩ وتذكرة الحفاظ ١/٧٩.

(٣) هو محمد بن المثنى بن عبيد المعترى أبو موسى الحافظ ــ صدوق ورع ثقة ثبتا توفى ٢٥٢ هـ انظر تذكرة الحفاظ ٢/٥١٢.

(٤) هو عبد الوهاب بن عطاء أبو ناصر البجلى ثقة توفى سنة ٢٠٤هـ طبقات الحفاظ ص ١٤١.

(٥) هو يعقوب ابن ابراهيم ابن كثير بن زيد ابن أفلح الدورقى حافظ متقن صنف المسند توفى ٢٥٢ تذكرة الحفاظ ٢/٥٠٥.

(٦) هو اسماعيل بن ابراهيم ابن عليه وهي امه وجده مقسم الأسدى أبو بشر كان سيد المحدثين وريحانه الفقهاء صدوق ورع ثقه توفى ١٩٣ هـ تاريخ بغداد ٦/٢٢٩ تذكرة الحفاظ ١/٣٢٢.

حدثنى يعقوب قال ثنا ابن أبى زائدة[١] قال: أخبرنى عاصم[٢] الأحول قال: قلت لأنس[٣] بن مالك أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية فقال: نعم كنا نكره الطواف بينهما لأنهما من شعائر الجاهلية حتى نزلت هذه الآية ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾.

حدثنى على بن سهل[٤] الرملى قال ثنا مؤمل[٥] ابن اسماعيل قال : ثنا سفيان[٦] عن عاصم قال: سألت أنسا عن الصفا والمروة فقال: كانتا من شعائر الجاهلية فلما كان الاسلام أمسكوا عنها فنزلت : ان الصفا والمروة من شعائر الله.

حدثنى عبد الوارث[٧] بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال: حدثنى أبو الحسين[٨] المعلم قال ثنا سنان أبو معاوية عن جابر الجعفى[٩] عن عمرو بن

---

(١) انظر تقريب التهذيب ٢٥٧/١.

(٢) هو عاصم بن سليمان الأحول أبو عبد الرحمن البصرى ثقه توفى سنة ١٤١ هـ. أنظر تذكرة الحفاظ ص ١٤٩.

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصارى المدنى خادم رسول الله (ﷺ) له صحبه طويلة وحديث كثير توفى سنة ٩٣ ـ أسد الغاية ١٥١/١ الاصابه ٨٤/١، تذكرة الحفاظ ٤٤/١.

(٤) انظر تقريب التهذيب ٣٣٥/١ ـ ٣٣٧.

(٥) هو مؤمل ابن اسماعيل البصرى صدوق توفى سنة ٢٠٦ هـ انظر تقريب التهذيب ٢٩٠/٢.

(٦) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى أحد الائمة الاعلام أمير المؤمنين في الحديث حافظ ثقه توفى سنة ١٦١ هـ تاريخ بغداد ١٥١/٩.

(٧) صدوق من الحادية عشر توفى ١٥٢ هـ تقريب التهذيب ٥٢٧/١ طبقات الحفاظ ١٤٤.

(٨) هو ابن زكوان العوزى البصرى ثبت ثقه انظر تذكرة الحفاظ ١٧٤/١.

(٩) هو ابن يزيد الحراث الجعفى وثقة جماعة وتكلم فيه آخرون ولعله كان مستقيما أول امره ثم ترك بآخره انظر تقريب التهذيب ١٣٣/١ وطبقات الحفاظ ص ٣٩.

حبش[1] قال: قلت لابن عمر[2]: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ قال: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فانه أعلم من بقى بما أنزل على محمد (ﷺ) فأتيته فسألته فقال ـــ أنه كان عندهما أصنام فلما حرمن أمسكوا عن الطواف بينهما حتى أنزلت ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾.

حدثني المثنى قال: ثنا عبد الله بن[3] صالح قال: حدثني معاوية[4] ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: قوله ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾، وذلك أن ناسا كانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فأخبر الله انهما من شعائرة والطواف بينهما أحب اليه فمضت السنة بالطواف بينهما.

حدثني موسى قال ثنا عمر قال ثنا أسباط عن السدى أن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما قال: زعم أبو مالك[5] عن ابن عباس أنه كان في الجاهلية شياطين تعزف الليل أجمع بين الصفا والمروة وكانت بينهما آلهة فلما جاء الاسلام وظهر قال المسلمون: يارسول الله لانطوف بين الصفا والمروة فانه شرك كنا نفعله في الجاهلية فأنزل الله : فلا جناح عليه أن يطوف بهما.

حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن عليه عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قي قوله ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ قال:

---

(١) مقبول من الطبقة الثالثة انظر تقريب التهذيب ٦٧/٢.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب منا قبه جمة أثنى عليه النبي (ﷺ) ووصفه بالصلاح توفي سنة ٧٤ هـ أنظر أسد الغابة ٣٤٠/٣ طبقات الحفاظ ص ٩.

(٣) ثقه مأمون توفى سنة ٢١١ انظر تقريب التهذيب ٤٢٣/١.

(٤) معاوية بن صالح قاض الاندلس ثقه توفي توفى سنة ١٥٨ هـ تقريب التهذيب ٢٥٩/٢ طبقات الحفاظ ص ٧٧.

(٥) طبقات الحفاظ ص ٧٧.

قالت الأنصار ان السعى بين هذين الحجرين من أمر الجاهليه. فأنزل الله ــ تعالى ذكره ــ ان الصفا والمروة من شعائر الله.

حدثنى محمد بن عمر قال: ثنا أبو عاصم، قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه.

حدثنى يونس قال: أخبرنى ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: فلا جناح عليه أن يطوف بهما قال: كان أهل الجاهلية قد وضعوا على كل واحد منهما صنما يعظمونهما فلما أسلم المسلمون كرهوا الطواف بالصفا والمروة لمكان الصنمين فقال الله تعالى: ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما.

وقرأ: ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب، وسن رسول الله (ﷺ) الطواف بهما.

حدثنا ابن حميد قال: ثنا جرير عن عاصم، قال: قلت لأنس الصفا والمروة، اكنتم تكرهون ان تطوفوا بهما مع الأصنام التي نهيتم عنها قال نعم حتى نزلت : ان الصفا والمروة من شعائر الله.

حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير قال أخبرنا عاصم قال: سمعت أنس ابن مالك يقول: أن الصفا والمروة من شعائر قريش في الجاهلية فلما كان الاسلام تركناهما.

(وقال آخرون بل أنزل الله ــ تعالى ذكره ــ هذه الآية في سبب قوم كانوا في الجاهلية لايسعون بيهما فلما جاء الاسلام تخوفوا السعى بينهما كما كانوا يتخفونه في الجاهلية.

ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ قال: ثنا يزيد عن سعيد بن قتادة قوله: ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية فكان حى من تهامة في الجاهلية لايسعون بينهما فأخبرهم الله أن الصفا والمروة من شعائر الله. وكان من سنة ابراهيم واسماعيل الطواف بينهما.

حدثنا الحسن بن يحي قال أخبرنى عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن قتادة قال: كان ناس من أهل تهامة لايطوفون بين الصفا والمروة، فأنزل الله ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾.

حدثنى المثنى قال: ثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى الليث قال: حدثنى عقيل عن ابن شهاب قال حدثنى عروة ابن الزبير قال سألت عائشة فقلت لها: أرأيت قول الله: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ وقلت لعائشة: والله ماعلى أحد جناح أن لايطوف بالصفا والمروة.

فقالت عائشة: بئسما قلت يابن أختى ان هذه الآية لو كانت كما أولتها كانت لاجناح عليه أن لايطوف بهما، ولكنها انما انزلت في الانصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدون بالشلل، كان من أهل لها يتحرج ان يطوف بين الصفا والمروة فلما سألوا رسول الله (ﷺ) عن ذلك فقالوا: يارسول الله انا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله ــ تعالى ذكره ــ ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾، قالت عائشة ثم قد سن رسول الله (ﷺ) الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما.

حدثنا الحسن بن يحي قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: كان رجال من الأنصار ممن يهل لمناة في الجاهلية ــ ومناة صنم بين مكة والمدينة، قالوا يانبى الله: انا كنا لنطوف بينهما تعظيما لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما فأنزل الله تعالى ذكره: ان الصفا المروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، قال عروة فقلت لعائشة: ما أبالى أن لا أطوف بين الصفا والمروة، قال الله: فلا جناح عليه، قالت: يابن أختى الا ترى أنه يقول: ان الصفا والمروة من شعائر الله، قال الزهرى، فذكرت ذلك لأبى بكر بن عبد الرحمن بين الحرث بن هشام فقال: هذا العلم قال أبو بكر ولقد سمعت رجالا من أهل العلم يقولون لما أنزل الله الطواف بالبيت ولم ينزل الطواف بين الصفا والمروة قيل للنبى (ﷺ) انا كنا نطوف في الجاهلية بين

الصفا والمروة وأن الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر الطواف بين الصفا والمروة فهل علينا من حرج أن لا نطوف بهما فأنزل الله تعالى ذكره: ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية كلها.

قال أبو بكر فاسمع ان هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما فيمن طاف وفيمن لم يطف.

حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا معمر عن قتادة قال: كان ناس من أهل تهامة لا يطوفون بين الصفا والمروة فأنزل الله: ان الصفا والمروة من شعائر الله.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: أن الله ــ تعالى ذكره ــ قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله كما جعل الطواف بالبيت من شعائره فأما قوله: فلا جناح عليه أن يطوف بهما فجائز أن يكون قيل لكلا الفريقين اللذين تخوف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين اللذين ذكرهما الشعبى وبعضهم من أجل ماكان من كراهتهم الطواف بهما في الجاهلية على ماروى عن عائشة، وأي الامرين كان من ذلك، فليس في قول الله تعالى ذكره ــ فلا جناح عليه أن يطوف بهما، الآية. دلالة على أنه عنى به وضع الحرج عن من طاف بهما من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز بحظر الله ذلك، ثم جعل الطواف بهما رخصة لاجماع الجميع على ان الله ــ تعالى ذكره ــ لم يحظر ذلك في وقت تم رخص فيه بقوله : فلا جناح عليه أن يطوف بهما وإنما الاختلاف في ذلك بين أهل العلم على أوجه :

(أ) فرأى بعضهم أن تارك الطواف بينهما تارك من مناسك حجه فلا يجزيه منه غير قضائه بعينه كما لا يجزي تارك الطواف الذي هو طواف الافاضة الا قضاؤه بعينه وقالوا: هما طوافان أمر الله بأحدهما بالبيت والآخر بين الصفا والمروة.

(ب) ورأى بعضهم أن تارك الطواف بهما يجزيه من تركه فدية ورأوا أن حكم الطواف بهما حكم رمي بعض الجمرات والوقوف بالمشعر، وطواف الصدر وما أشبه ذلك مما يجزى تاركه من تركه فدية ولا يلزمه العود لقضائه بعينه.

(جـ) ورأى آخرون أن الطواف بهما تطوع إن فعله صاحبه كان محسنا وإن تركه تارك لم يلزمه بتركه شيء والله تعالى أعلم.

ذكر من قال : ان السعي بين الصفا والمروة واجب ولا يجزى منه فدية ومن تركه فعليه العودة :

حدثنا أبو كريب قال : ثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لعمري ماحج من لم يسع بين الصفا والمروة لأن الله قال: ان الصفا والمروة من شعائر الله.

حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال مالك بن أنس: من نسى السعي بين الصفا والمروة حتى يستبعد من مكة المكرمة فليسع، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العودة والهدى.

وكان الشافعي يقول على من ترك السعى بين الصفا والمروة حتى رجع إلى بلده العودة إلى مكة حتى يطوف بينهما لا يجزية غير ذلك. حدثنا بذلك عنه الربيع.

ذكر من قال يجزى منه دم وليس عليه عود لقضائة :

قال الثورى بما حدثنى به على بن سهل عن زيد بن أبى الزرقاء عنه، وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد ان عاد تارك الطواف بينهما لقضائة فحسن وان لم يعد فعليه دم.

ذكر من قال ان الطواف بينهما تطوع ولا شىء على من تركه، ومن كان يقرأ فلا جناح عليه أن لايطوف بهما.

حدثنا محمد بن بشار قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا ابن جريح قال: قال عطاء: لو أن حاجا أفاض بعد مارمى جمرة العقبة فطاف بالبيت ولم يسع فأصابها يعنى امرأته لم يكن عليه شىء لاحج ولا عمرة من أجل قول الله في مصحف ابن مسعود: فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن لايطوف بهما. فعاودته بعد ذلك فقلت انه قد ترك سنة النبى (ﷺ) قال الا تسمعه يقول: فمن تطوع خيرا فأبى أن يجعل عليه شيئا.

حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال: ثنا هشيم قال: اخبرنا عن الملك عبد عطاء عن ابن عباس انه كان يقرأ ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ الآية فلا جناح عليه الا يطوف بهما.

حدثني على بن سهل قال: ثنا مؤمل: قال ثنا سفيان عن عاصم قال سمعت أنسا يقول: الطواف بينهما تطوع.

حدثني المثنى قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد، قال أخبرنا عاصم الأحوال قال: قال انس بن مالك: هما تطوع.

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه.

حدثني المثنى قال: ثنا أبو حذيفه، قال: ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ قال: فلم يحرج من لم يطف بهما.

حدثنا المثنى قال: ثنا حجاج قال: ثنا أحمد عن عيسى بن قيس عن عطاء عن عبد الله بن الزبير قال: هما تطوع.

حدثنا ابن حميد قال: ثنا جرير عن عاصم قال: قلت لأنس بن مالك: السعى بين الصفا والمروة تطوع؟ قال تطوع.

والصواب من القول في ذلك عندنا أن الطواف بهما فرض واجب وان على من تركه العود لقضائه ناسيا كان أو عامدا الا أنه لايجزية غير ذلك لتظاهر الاخبار عن رسول الله (ﷺ) انه حج بالناس فكان مما علمهم من مناسك حجهم الطواف بهما.

ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثني يوسف بن سليمان قال: ثنا حاتم بن اسماعيل قال: ثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: لما دنا رسول الله (ﷺ) من الصفا في حجه قال: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ ابدؤ بما بدأ الله بذكره فبدأ بالصفا فرقى.

حدثنى أبو كريب قال: ثنا محمود بن ميمون أبو الحسن عن أبى بكر بن عباس عن ابن عطاء عن ابيه عن ابن عباس أن النبى (ﷺ) قال : ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ فأتى الصفا فبدأ بها فقام عليها، ثم أتى المروة فقام عليها وطاف وسعى فاذا كان صحيحا باجماع الجميع من الأمة أن الطواف بهما على تعليم رسول الله (ﷺ) أمته في مناسكهم، وعمله في حجه وعمرته كان بيانه (ﷺ) لأمته مجمل مانص عليه في كتابه وفرضه في تنزيله وأمر به مما لم يدرك علمه الا ببيانه لزم العمل به أمته لما قد بينا في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام».

اذا اختلفت الأمة في وجوبه ثم كان مختلفا في الطواف بينهما هل هو واجب أو غير واجب كان بيان وجوب فرضه على من حج أو اعتمر لما وصفنا.

وكذلك وجوب العود لقضاء الطواف بين الصفا والمروة لما كان مختلفا فيما على من تركه مع اجماع جميعهم على أن ذلك مما فعله رسول الله (ﷺ) وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم اذ علمهم مناسك حجهم كما طاف بالبيت وعلمه أمته في حجهم وعمرتهم.

وأجمع الجميع على أن الطواف بالبيت لاتجزى منه فدية ولا بدل، ولا يجزى تاركه الا العود لقضائه كان نظير له الطواف بالصفا والمروة، ولا تجزى منه الفدية ولا جزاء، ولا يجزى تاركه الا العودة لقضائه، اذا كان كلاهما طوافين احدهما بالبيت والآخر بالصفا والمروة.

ومن فرق بين حكمهما عكس عليه القول فيه، ثم سئل البرهان على التفرقة بينهما.

فان اعتل بقراءة من قرأ فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما قيل ذلك خلاف مافي مصاحف المسلمين، غير جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم ماليس فيها، وسواء قرأ ذلك كذلك قارئا أو قرأ قارئا ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ فلا جناح عليه أن لايطوفوا به، فان جاءت احدى الزيادتين اللتين ليستا في المصحف كانت الاخرى نظيرتها

والا كان مجيزا. احداهما اذا منع الاخرى متحكما والتحكم لايعجز عنه أحد وقد روى انكار هذه القراءة، وأن يكون التنزيل بها عن عائشة.

حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرنى مالك بن أنس عن هشام ابن عروة عن أبيه قال: قلت لعائشة زوج النبي (ﷺ) وأنا يومئذ حديث السن أرأيت قول الله عز وجل: ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما نرى على أحد شيئا ألا يطوف بهما، فقالت عائشة كلا لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لايطوف بهما، انما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناه وكانت مناه حذو قديم، وكانو يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله (ﷺ) عن ذلك، فأنزل الله: ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾.

وقد يحتمل قراءة من قرأ فلا جناح عليه أن لايطوف بهما أن تكون لا التي مع أن صلة في الكلام اذا كان قد تقدمها جحد في الكلام قبلها وهو قوله فلا جناح عليه فيكون نظير قوله تعالى ذكره ـــ قال مامنعك أن لاتسجد إذ أمرتك بمعنى مامنعك أن تسجد وكما قال الشاعر:

ماكان مرضى رسول الله فعلهما والطيبان أبا بكر ولا عمر

ولو كان رسم المصحف كذلك لم يكن فيه لمحتج حجة مع احتمال الكلام مع ماوصفنا لما بينا ان ذلك مما علم رسول الله (ﷺ) أمته في مناسكهم على ماذكرنا، ولد لاله القياس على صحته فكيف وهو خلاف رسوم مصاحف المسلمين. ومما لو قرأه اليوم قارىء كان مستحقا العقوبه لزيادته في كتاب الله عز وجل ماليس منه.

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم﴾.
اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿ومن تطوع خيرا﴾ على لفظ المعنى بالتاء فتح العين، وقرأته عامة قراء الكوفين ﴿ومن تطوع خيراً﴾ بالياء وجزم العين وتشديد الطاء بمعنى: ومن يتطوع،

وذكر أنها في قراءة عبد الله) ﴿ومن يتطوع﴾ فقرأ ذلك قراء أهل الكوفة على ماوصفنا اعتبار بالذي ذكرنا من قراءة عبد الله سوى عاصم فانه وافق المدنيين فشددوا الطاء طلبا لادغام الفاء في الطاء.

وكلتا القراءتين معروفة صحيحة متفق معانهما غير مختلفين لأن الماضى من الفعل مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل فبأى القراءتين قرأ ذلك قارى فمصيب.

ومعنى ذلك ومن تطوع بالحج أو العمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه فان الله شاكر له على تطوعه له بما تطوع به من ذلك ابتغاء وجهة فمجازية به عليم بما قصد وأراد في تطوعه بما تطوع به.

وانما قلنا أن الصواب في معنى قوله: ﴿فمن تطوع خيرا﴾ هو ماوصفنا دون قول من زعم أنه معنى به فمن تطوع بالسعى والطواف بين الصفاوالمروة لأن الساعى بينهما لايكون متطوعا بينهما الا في حج تطوع أو عمرة تطوع لما وصفنا قبل.

واذا كان ذلك كذلك كان معلوما أنه انما عنى بالتطوع بذلك التطوع بما يعلم ذلك فيه من حج أو عمرة.

وأما الذين زعموا أن الطواف بهما تطوع لا واجب فان الصواب أن يكون تأويل ذلك على قولهم. فمن تطوع بالطواف بهما فان الله شاكر.

لأن للحاج والمعتمر على قولهم الطواف بهما ان شاء وترك الطواف فيكون معنى الكلام على تأويلهم فمن تطوع بالطواف بالصفا والمروة فأن الله شاكر تطوعه ذلك عليم بما أراد ونوى الطائف بهما كذلك.

كما حدثنى محمد بن عمر قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ﴿ومن تطوع خيرا﴾ فان الله شاكر عليم قال: من تطوع خيرا فهو خير له. تطوع رسول الله (ﷺ) فكانت من السنن.

وقال آخرون: معنى ذلك «ومن تطوع خيرا فاعتمر».

ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ابن زيد في قوله: ﴿ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم﴾ من تطوع خيرا فاعتمر فان الله شاكر عليم، قال فالحج فريضة والعمرة تطوع ليس العمرة واجبة على أحد من الناس).

التعقيب

بعد عرض هذا النموذج، وبقراءتك له يتضح لك أيها القارىء الكريم منهج الطبرى في جامع البيان في تفسير القرآن الذي حدثناك عنه وضوحا جليا، حيث أن الامام ـــ رحمه الله تعالى ـــ ذكر معانى النص الكريم ودلالة اللغة عليها مستشهدا لما قرره من المعانى بما ورد عن العرب ثم ذكر من آثار من سبقوه مايؤيد المعنى الذي ارتضاه لغة.

ثم استنبط الأحكام الشرعية من الآية الكريمة ذاكرا أقوال أهل العلم في هذه الاحكام واختار رأيا ارتضاه واستدل له بما يدل عليه دلاله قوية من وجهة نظره ـــ ورد الأقوال الأخرى مستشهدا على ذلك بما يقوى ماختاره، ومايضعف الأقوال الأخرى. وهو في هذا الجانب امام من الائمة المجتهدين.

والطبرى عالم بالقراءات صحيحها ومردودها، كما رأيت في مناقشة القراءة.

النموذج الثاني

مسئولية الانسان عن عمله

قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى، وان تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة، ومن تزكى فانما يتزكى لنفسة وإلى الله المصير﴾.

الآية ١٨ من سوة فاطر

قال في جامع البيان في تفسير القرآن ٨٤/٢٢ ما نصه :

وقوله: ﴿ولاتزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول تعالى ذكره ولاتحمل آثمة اثم آخرى غيرها ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ يقول تعالى: وان تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها، وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئا منها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد[1] بن سعد قال: ثنا أبي قال، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى، وان تدع مثقله إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ يقول: يكون عليه لايجد أحد يحمل عنه من وزره شيئا.

حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني

(١) هو محمد بن سعد بن منيع البصري الحافظ، كاتب الواقدي ـــ العلامة البصري، ثقة توفي سنة ٢٣٠ هـ ـــ انظر تذكرة الحفاظ ٤٢٥/٢، وطبقات الحفاظ ١٨٣.

الحرث ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء[1] جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: وان تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء كنحو ﴿لاتزر وازرة وزر أخرى﴾.

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة: ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ إلى ذنوبها ﴿لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ أي قريب القرابة منها لايحمل من ذنوبها شيئا، ولاتحمل على غيرها من ذنوبها شيئا، ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ونصب ذا قربى على تمام كان لأن معنى الكلام ولو كان الذي تسأله أي يحمل عنها ذنوبها ذا قربى لها، وأنثت مثقلة لأنه ذهب بالكلام إلى النفس كأنه قيل وان تدع نفس مثقلة من الذنوب إلى حمل ذنوبها، وانما قيل كذلك لأن النفس تؤدى عن الذكر والأنثى كما قيل: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ يعنى بذلك كل ذكر وأنثى.

وقوله: ﴿انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انما تنذر يامحمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك ولكن لايمانهم بما آتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله فهولاء الذين ينفعهم انذارك، ويتعظون بمواعظك لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لايفقهون.

كما حدثنا بشر قال: ثنا يزيد: قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾، أي يخشون النار، وقوله ﴿وأقاموا الصلاة﴾ يقول وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على مافرضها الله عليهم.

قوله ﴿ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه﴾ يقول تعالى ذكره ومن تطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبه إلى الله والايمان به والعمل بطاعته، فانما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يثيبها به رضا والفوز بجنابه، والنجاه من عقابه الذي أعده

---

(١) هو الامام الحجة شيخ السنة أبو بشر البشكرى الكوفى — نزيل المدائن — قال احمد بن حنبل ثقة صاحب سنة، وقال أبو داود السجستانى صاحب سنة، وقال أبو المنذر دخلنا على ورقاء وهو يموت فجعل يكبر ويهلل ويذكر الله، فلما كثر الناس قال لابنه اكفنى رد السلام، لايشغلونى عن ربى توفي سنة نيف وستين ومائه.

لأهل الكفر به. كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال، ثنا سعيد: عن قتاده قوله: ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه أي من يعمل صالحا فانما يعمله لنفسه.

وقوله: ﴿والى الله المصير﴾ يقول : وإلى مصير كل عامل منكم، يأيها الناس مؤمنكم وكافركم، وبركم وفاجركم، وهو مجاز جميعكم بما قدم من خيرٍ وشر على ما أهل منه.

التعقيب

واضح من هذا النموذج أن الامام قد أول النص الكريم بما دلت عليه اللغة مما هو متبادر منها ووثق هذا الفهم بما ثبت لدية من آثار عن السلف، متبعا فيها منهجه الذي حد ثناك عنه، ونراه لم يصرف لفظا عن ظاهره لأن الألفاظ كما يبدو للك لا تحتمل غير الظاهر.

النموذج الثالث

القصص القرآني

قال تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب، اذ دخلوا على داوُد ففزع منهم، قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق، ولاتشطط واهدنا إلى سواء الصراط، ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولى نعجة واحدة فقال: أكلفلنيها وعزنى في الخطاب، قال: لقد ظلك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم، وظن داوُد أنما فتناه، فاستغفر ربه، وخر راكعا، وأناب﴾.

الأيات ٢١ ــ ٢٤ سورة ص

انظر في ذلك جامع البيان في تفسير القرآن ٨٩/٢٣ ــ ٩٧.

وبعد قراءتك لنصه في كتابه يتضح لك أنه سار كما حدثناك فسر المعنى بما يفهم منه ثم أيد ماقال بما نقله عن السلف.

ولقد ذهب بعض المفسرين قديما وحديثا إلى أن هذه القصص التي وردت في هذا النص الكريم من الاسرائيليات التي لم ينتبه ذاكروها لخطورتها وأنه كان ينبغى الاعراض والاكتفاء بتلاوة الآيات مجردة كما قلنا لك في نفس النص أثناء العرض لنماذج التفسير بالمأثور الصرف مقولة الامام ابن كثير رحمه الله.

وسار على دربه اناس من القدماء والمحدثين.

وقبل أن نترك المقام لابد من توضيح وجهة نظرنا في هذا الموضوع ــ وخاصة أنه يتعرض للسلف بأخذهم عن الاسرائيليات دون تمحيص ــ وهذا

القول في النفس منه شيء لمكانه السلف من هذه الامة ــ لذا نرى من الحق أن نضع بين يديك مانراه أقرب إلى الصواب في هذا الجانب فنقول وبالله التوفيق.

من المتيقن أن داوُد عليه السلام افتتن، ومن المتيقن أن داوُد علم بمالا يناسبه فاستغفر ربه وأناب، وغفر له ربه كما ذكرت الآيات.

وهذا الامر صدور مالا يناسب النبوة ــ ليس مستغربا في الرسل فالقرآن الكريم يقول عن آدم وزوجه: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

الاعراف آية ٢٣

وقال عن محمد ﷺ: ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾.

(الانفال ــ آية ٦٨).

وحديث الشفاعة قريب منك وفيه أن كل من يلجأ اليه القوم من النبيين من لدن آدم يقول نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى ذاكرا ماكان منه إلى أن يصل الناس بآخره إلى النبى محمد ﷺ بارشاد عيسى عليه السلام[1].

ولما كان أمر بعض النبين معروفا فيما حكى عنهم الا أمر داوُد في هذه الآية آخذه بعض السلف عن أهل الكتاب فيما يرون أنه مأذون به لهم، ولا نجزم أنهم ــ رضى الله عنهم صدقوا أهل الكتاب فيما قالوا، بل ربما فهموا من هذه القصص، غير مانقرأه نحن ــ من كلمات فيما روى عنهم ــ مما يتناسب ونبى الله داوُد عليه السلام ولا شيء في هذا.

وان كان بعض المفسرين ذكروا روايات تذهب في قصة داوُد

---

(١) انظر الحديث بتمامه مطولا في صحيح مسلم كتاب الايمان باب أدنى أهل الجنه منزلة فيها ١/١٨٤ : ١٨٦.

والخصمين مذهبا ينحو بها منحى غير الذي يبدو من ظاهر بعض الروايات حيث يذكر أن داوُد سأل أوريا أن يتنازل له عن امرأته فتنازل عنها استحياء من داوُد ـــ وكان ذلك معروفا في عاداتهم، وقريب منه ـــ كما ذكر ذاكره ـــ فعل الانصار مع المهاجرين، ثم عوتب داوُد بالخصمين على ماكان منه.

ثم ذكر وجها آخر مفادة أن داوُد تقدم لخطبة المرأة وكان أوريا قد خطبها فآثر أهل المرأة داوُد على أوريا، فعوتب داوُد بقصة الخصمين[١].

ونحن نرى أنه ان صحت الرواية الاولى التى ذكرها النسفى فانسجامها مع النزاع في النعاج واضح.

يؤكد ذلك ـــ عدم ذكر ماستغفر داوُد ربه منه ـــ ان المتأخرين ـــ وفقهم الله أيضاً اختلفوا في تأويل مادعا داوُد إلى الاستغفار فبعضهم ذهب إلى أن داوُد عليه السلام ظن أن هذين الخصمين دخلا لقتله كما هو معروف عن بعض بنى اسرائيل مع بعض الانبياء من قتلهم لهم كما حكى القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وقتلهم الانبياء بغير حق﴾[٢] فهم بقتلهما، ولكنه تذكر ان الصفح هو الأولى في حقة فاستغفر ربه[٣].

ويؤيد هذه الوجهة ماذكرته الآيات من قوله تعالى: ﴿ففزع منهم، قالوا لاتخف﴾ وبعضهم ذهب إلى أن ما استغفر داوُد ربه منه أنه لم يسمع كلام الخصم الثاني وأنه لاينبغى أن يكون منه ذلك[٤].

ويؤيد هذه الوجهة ماجاء بعد آياتنا هذه من قوله تعالى: ﴿ياداوُد انا جعلناك خليفة في الأرض فأحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى﴾.

ولذلك نرى أن مقولة الامام الحافظ ابن كثير فيما ذكرنا لك سابقاـــ هى عصمة من الزلل وخاصة في حق من يخوض دون أن يدرى.

---

(١) انظر تفسير النسفى ٣٧/٤ ـــ ٣٨.

(٢) النساء من الآية ١٥٥.

(٣) انظر في ذلك تفسير المراغى ٢٣/١١٠ ـــ تفسير سورة ص ـــ الايات المذكورة.

(٤) انظر في ذلك صفوة التفاسير القسم الرابع عشر ٣٣ تفسير الآيات من سورة ص.

ويؤكد ماذهبنا إليه من بيان موقف السلف الايمانى من الأخذ عن أهل الكتاب أمران.

الأول: ذكر قصة فتنة داوُد عند أهل الكتاب من كتبهم.

الثاني: بيان ماأحاط به القرآن في هذا الجانب.

أما عن الأمر الأول: فقد جاء في سفر صموائيل الثانى الاصحاحين ١١، ١٢ ص٣٩٧ ــ ٤٩٩ ما نصه :

(وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داؤد أرسل يوآب، وعبيده معه، وجميع اسرائيل، فأخرجوا بنى عمون، وحاصروا ربه.
وأما داوُد فأقام في أورشليم، وكان في وقت المساء أن داوُد قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح أمرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جدا فأرسل داوُد وسأل عن المرأة، فقال واحد أليست هذه بششيع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى فأرسل داوُد رسلا وأخذها، فدخلت عليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها، ثم رجعت إلى بيتها.

وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داوُد، وقالت أنى حبلى.
فأرسل داوُد إلى يوآب يقول: أرسل إلى أوريا الحثى فأرسل يوآب أوريا إلى داوُد، فأتى أوريا إليه. فسأل داوُد عن سلامة يوآب، وسلامة الشعب ونجاح الحرب.

وقال داوُد لأوريا انزل إل بيتك واغسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك، ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده، ولم ينزل إلى بيته فأخبروا داوُد قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داوُد لأوريا: أما جئت من السفر؟ فلماذا لم تنزل إلى بيتك، فقال أوريا لداوُد: ان التابوت، واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتى لآكل وأشرب واضطجع من أمرأتى!؟ وحياتك وحيوية نفسك لاأفعل هذا الأمر.

فقال داوُد لأوريا: أقم هنا اليوم أيضا وغدا أطلقك، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم، وغده، ودعاه داوُد فأكل أمامه، وشرب، وأسكره، وخرج عن المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده، وإلى بيته لم ينزل.

وفي الصباح كتب داوُد كتابا إلى يوآب وأرسله إليه بيد أوريا.

وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديد، وارجعوا من روائه فيضرب ويموت.

وكان في محاصرة يوآب المدينة في الموضع الذي علم أن رجال الباس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داوُد، ومات أوريا الحثى أيضاً.

فأرسل يوآب، وأخبر داوُد بجميع أمور الحرب، وأوصى الرسول قائلا: عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب.

فان اشتعل غضب الملك وقال لك: لماذا وفوتم من المدينة للقتال؟ أما علمتم أنهم يرمون من على السور من قتل أيمالك بن يربشث ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور فمات في تاباص لماذا وفوتم من السور؟ فقل: قد مات عبدك أوريا الحثى أيضاً.

فذهب الرسول ودخل وأخبر داوُد بما أرسله فيه يوآب، وقال الرسول لداوُد قد تجبر علينا القوم، وخرجوا إلينا إلى الحقل، فكنا عليهم إلى مدخل الباب، فرمى الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك، ومات عبدك أوريا الحثى أيضا، فقال داوُد للرسل هكذا نقول ليوآب لايسوء في عينك هذا الامر لأن السيف يأكل هذا وذاك، شدد قتالك على المدينة، وأخربها، وشدده.

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحي أرسل داوُد وضمها إلى بيته وصارت له أمرأة، وولدت له ابنا. وأما الأمر الذي فعله داوُد فقبح في عين الرب.

توضيح :

بقراءتك لهذا النص من كتب القوم التي يعتقدون صحتها ويؤمنون بها ويقيمون عليها سلوكهم نبين لك مايلي :

١ ـ أن القوم قد رموا نبيهم وملكهم بالزنا، ونسبوا إليه الرذيلة، ولم يقدروا قيمة الرسالة أو الرسول بهذا الاتهام الفاضح الذي يشين عامة الناس فما بالك بالرسل.

٢ ـ ان القوم قد نسبوا إلى نبيهم وملكهم جريمة تدبير القتل مع قائدة ليستر جريمته وفعلته السيئه.

٣ ـ ان القوم قد نسبوا إلى نبيهم وملكهم جريمة شرب الخمر حتى السكر، وسقيه غيره معه حتى الدرجة نفسها.

فهل ترى سلفنا قد سلك مسلك القوم؟ حتى ننسب إليهم ـ على وجه التبشيع ـ أنهم تأثروا بالنقل عن أهل الكتاب فيما لم يرد فيه توضيح في القرآن أو السنة لانشك في أن سلفنا مبرءون عن ذلك من خلال ماعرضناه لك عن آرئهم في هذا القصص، كل ماأخذوه مايمكن أن يكون من البشر ـ في حدود ماعرفوه عن النبوة وماأعتقدوه صوابا في حقهم وكما ذكرنا لك فان القوم لم يعتقدوا صحة ماعند أهل الكتاب.

ونحن نعتقد اعتقادا جازما أن أهل الكتاب دعاة فسق وفجور أرادوا نشره بين الناس وأكدوه بنسبته إلى أنبيائهم فلاهم مؤمنون بنبوة، ولاهم مؤمنون بإله قد عصم أنبياءه من الوقوع في الكبائر.

على حين نعتقد نحن أن الانبياء مبرءون مما يقول هؤلاء وأنهم مصطفون للرسالة:

قال تعالى ذكره ﴿الله يصطفىٰ من الملائكة رسلا ومن الناس﴾[١].

---

(١) الحج الاية ٧٥.

وقوله ــ تعالى ذكره ﴿انا اخلصناهم بخالصة ذكر الدار وانهم عندنا لم المصطفين الأخيار﴾[1].

ولعله قد اتضح لك الفرق بين ماقيل: ان أهل التفسير أخذوه عن أهل الكتاب، وما هو قائم فعلا عند أهل الكتاب.

ولايغيب أن السلف يؤمنون ايمانا جازما أن القوم قد حرفوا الكلم عن موضعه يقول القرآن﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به﴾[2] وقوله ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾[3].

الامر الثاني: ان الله سبحانه وتعالى حين ذكر فتنه الانبياء وقصصهم حصن المسلمين بما يمنعهم عن الخوض في حق انبياء الله كما خاض هؤلاء الملعونون في حق أنبيائهم.

وانظر إلى هذه الآيات التي سأذكرها لك مع بعض النبيين تدرك كيف أخرس الله ــ سبحانه وتعالى ــ ألسنة المفترين على الرسل الواصفين لهم بما يشينهم، وعصم المسلمين بهدايتهم عن الخوض كالذي خاض فيه هؤلاء. وهذه الآيات التي سنذكرها لك ذكرت مع بعض المواقف لبعض النبيين.

الموقف الأول: وهو مع يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ومادعته إليه فيقول جل ذكره: ﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلماً وكذلك نجزى المحسنين﴾[4].

فهذه الآية عند من يعقل تبرىء ساحة يوسف فلا خوض بعد تبرئة الساحة من الله تعالى.

---

(١) ص الآية ٤٦ ــ ٤٧.
(٢) المائدة من الآية ١٣.
(٣) المائدة من الآية ٤١.
(٤) يوسف الآية ٢٢.

الموقف الثاني: وهو مع نبى الله موسى عليه السلام سيق لبيان أن موسى لم يحرص على جناية القتل.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين﴾[١].

الموقف الثالث : في حق داوُد عليه السلام قبل قصة الخصمين.
قال تعالى ــ ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[٢].

وفي هذا مافيه من تبرئه ساحة النبى الكريم.

الموقف الرابع : في حق سليمان عليه السلام قبل الكلام عن فتنته وفيها بيان لقدره وقدر أبيه عليهما السلام.
قال عز من قائل: ﴿وهبنا لداوُد سليمان نعم العبد انه أواب﴾[٣].

ولعله قد اتضح لك الآن ــ أيها القارى الكريم مما نبهناك إليه، وماتفهمه من قراءتك للنصوص أن السلف المفسرين مبرءون مما يتقوله الذين في نفوسهم مرض ولهم مغفرة وأجر عظيم.

التعليق العام

يتضح لك من عرضنا لهذه النماذج أن الامام قدوة أصحاب هذا المنهج قد التزم بما رسم لنفسه سابقا وتبين لك مما وثقناه لك من رواته أن الرجل حرص على التوفيق في نقوله لما يدعم وجهة نظرة من أقوال السلف قدر الممكن.

وتبين لك وجهة نظرنا أن الرجل يحصل الموضوع أولا معنى وأحكاما ذاكرا أقوال أهل العلم مبينا الراجح منها مدعما ذلك دون استطراد، كما

---

(١) القصص الآية ١٤.
(٢) ص الآية ٢٠.
(٣) ص الآية ٢٠.

يعرض القراءات عرض الناقد البصير كما يذكر من خلال رأية النكات النحوية التي تبين وجهة قوله مما له أثر في تغير المعنى بسببها.

وحول مايقال عن الاسرائيليات فقد بينا لك وجهة نظرنا وأن هذا لاينقص من قدر هذا المنهج ولا يعض من قيمته.

وغنى عن البيان أننا وضحنا لك قبل هذا أن الامام اتبع المدرسة المكية التي أمّها ابن عباس رضى الله عنه.

وقد مر بك ترجمتنا لبعض الرواة الذين مر ذكرهم فيما مضى حين عرضنا للآثار التي ذكرها، وقد ذكرنا لك أنهم ثقات. ولكن ذلك لايمنع من تعقب الرجال الذين ورد ذكرهم في روايات الآثار في جامعة كله، وخاصة أن الرجل قد خرج من عهدة البحث بذكره السند كاملا وان كان الرجل قد تعقب كثيرا من الروايات بالنقد، وندعوا الله سبحانه وتعالى أن يمكن المشتغلين بالقرآن الكريم وعلومه من تتبع مالم يتبعه ابن جرير خدمة لدين الله.

تنبيـــه

وقبل أن نضع القلم نبين منزلة من أخذ عنهم السلف ممن أسلم من أهل الكتاب ــ حتى نبين لك بوضوح مسلك من أخذ عنهم من المسلمين، ومسلكهم أيضا فيما يرون، ونحن نجزم أيضاً أنهم بعد اسلامهم لم يجزموا بصحة ماأخبروا عمن سبق. اتباعا لاسلامهم، وايمانا بما أتى به عليَّ المجرح يهتدى إلى الصواب فنقول:

عبد الله بن سلام: أبو يوسف الاسرائيلى جلبت الأنصار ــ اسلم وقت مقدم النبى بالمدينة شهد له النبى بالجنة فلا مجال للتهمة في دينه ولا في ثقته وعدالته، اعتمده البخارى وغيره من أهل الحديث توفي سنة ٤٣ هجرية[١].

(١) انظر تذكرة الحفاظ ٢٦/١ وطبقات الحفاظ ص ٧ والتفسير والمفسرون ١٨٧/١.

كعب الاحبار : أبو اسحاق كعب بن مانع الحميرى أصلة من اليمن قيل أسلم في خلافة أبي بكر وقيل في خلافة عمر وهو عدل ثقه أخرج له مسلم في مواضع وفي أواخر كتاب الايمان كما أخرج له أبو داوُد والترمذي والنسائى توفى بحمص سنة ٣٢ هجرية[١].

وهب بن منبه: هو وهب بن منبه بن كامل اليمانى الصنعانى، على معرفة بالكتب الالهية القديمة ثقه عالم له حديث في الصحيحين توفى ١١٤ هجرية[٢].

وضح لك بعد هذا أن هؤلاء الرجال لايتصور منهم ما صوره المغرضون الذين يريدون تشوية الاسلام في تشوية رجالة.

---

(١) انظر التفسير والمفسرون ١/١٨٧ — —١٨٩.
(٢) انظر تذكرة الحفاظ ١/١٠٠ — ١٠١ وطبقات الحفاظ ٤١.

ثالثا : زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزى

عمدنا إلى اختيار هذا التفسير من أجل أنه في مرحله وسطى بين الامام الطبرى المتوفي سنة ٣١٠، وبين من يأتى من بعده فصاحبة كما علمت متوفى سنة ٥٩٧ هـ حتى نعطى تصوراً عن مراحل هذا اللون مع بيان مدى عمق الارتباط بالتفسير الأثرى في عهود التفسير المختلفة.

التعريف بالمؤلف :

هو الشيخ الحافظ العلامة، والواعظ الفهامة عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبد الله بن عبد الله البكرى القرشي التيمى، من ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، أبو الفرج بن الجوزى، وعرف جدهم بالجوزى لجوزة كانت في دارهم لم يكن بواسط سواها.

مولده : ولد ـ رحمه الله في سنة ٥١٠ هـ.

نشأته وثقافته : نشأ يتيما فقد توفى والده أبو الحسن بن محمد سنة ٥١٤ هـ وقد بلغ من العمر ثلاث سنين أو يزيد قليلاً.

وتولته عمته وكانت امرأة صالحة، وأهلها كانوا تجارا في النحاس، ولقد أعتنت عمته اعتناء شديدا بصحته البدنية وتوجيهه العقلي، فأرسلته إلى مكتب صغير في أواخر سنة ٥١٥ أو أوائل سنة ٥١٦ ـ هـ حيث تعلم وعرف الكتابة بعد حداثة سنه.

وبعد الفراغ من تعليمه الابتدائى تولى ـ مسؤولية تربيته وتعليمه الحافظ المحدث الكبير محمد بن ناصر عالم الحنابلة المشهور، فلم يزل الشيخ يعنى بتعليمه وتربيته فقرأ عليه ابن الجوزى الحديث وسمع منه.

ويحدثنا الامام ابن الجوزى في مناقب الامام احمد بن حنبل فيقول: وهو الذي جعله الله تعالى سببا لارشادى إلى العلم، فإنه كان يجتهد معى، ويحملنى إلى المشايخ ـ يقصد محمد بن ناصر ـ وأسمعنى مسند الامام

أحمد بقراءته على ابن الحصين والاجزاء العوالى وأنا اذ ذاك لا أدرى ما العلم من الصغر، وكان يثبت كل ما أسمعه وقرأت عليه ثلاثين سنة، ولم أستفد من أحد كاستفادتى منه وعليه فقد شرع ابن الجوزى في تلك العلوم الدينية من أوائل عمره فنراه مشتغلا بعلوم القرآن عن اكابر المفسرين مثل ابى الكرم الهاشمى، فإنه كان استاذه الأول في علوم القرآن.

وأيضاً أخذ علوم التفسير عن جماعة سواه منهم أبو القاسم بن الجبار، وأبو عبد الله الخياط، وأبو محمد المقرىء وابو بكر الباقلانى.

خلقــه وعبادتــه :

كان ابن الجوزي لطيف الصورة حلو الشمائل رخم النغمة موزون الحركات حسن الفكاهة، يحضر مجلسة مائة ألف أو يزيدون لا يضع من زمانه شيئا يكتب في اليوم أربع كراريس ولقد جبل على الرياضة الروحانية التي أوصلته إلى الزهد والتقوى فكان يقوم الليل بقراءة القرآن ويصوم النهار يقول ابن كثير: كان وهو صبى دينا مجموعا على نفسه لايخالط أحداً ولا يأكل مافيه شبهة ولا يخرج الا للجماعة وكان لا يلعب مع الصبيان.
وان الناظر في كتابه تلبيس إبليس يدرك ملل ابن الجوزى من غلو الصوفية.

مكانتــه وآثــاره العلميــة :

ان ابن الجوزى كثير التصانيف قلمّا يقارنه أحد فيها بالنسبة لتاريخ الاسلام فيما نعلم لافي قرنه ولافي القرون التي سبقت وكل مانعلمه أن السيوطى رحمه الله قد فاق ابن الجوزى في التأليف وهو من علماء القرن العاشر الهجرى.

يقول الذهبى : «... ماعلمت أن أحدا من العلماء صنف ماصنف هذا الرجل» ويقول ابن كثير «... أحد افراد العلماء برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره وجمع المصنفات الكبار والصغار نحو من ثلثمائة مصنف وكتب بيده نحوا من مائة مجلدة وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولم يلحق شأوه فيه، وفي طريقته وشكله، وفصاحته، وبلاغته، وعذوبته، وحلاوة

ترصيعة، ونفوذ وعظه وغوصه على المعانى البديعية وتقريبه الأشياء الغربية بمشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والادراك بحيث يجمع المعانى الكثيرة في الكلام اليسير، وله في العلوم كلها اليد الطولي والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو له من المصنفات في ذلك مايضيق هذا المكان عن تعداده وحصر افراده، منها: كتابه في التفسير المسهر، بزاد المسير، وله تفسيرا بطأ منه ولكنه ليس بمشهور وله جامع المسانيد استوعب به غالب مسند أحمد، وصحيح البخارى ومسلم، وجامع الترمذى، وله كتاب المنتظم في تاريخ من العرب والعجم في عشرين مجلدا، ولم يزل يؤرخ أخبار للعالم حتى صار تاريخياً.

ويقول ابن خليكان : (.... وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد وكتب بخطه شيئا كثيرا والناس يغالون في ذلك حتى يقولون: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة فكان ماخص كل يوم تسع كراريس وهذا شيء عظيم لا يقبله العقل، ويقال أنه جمعت براية اقلامه التي كتب بها حديث رسول الله (ﷺ) فحصل منها شيء كثير وأوصى ان يسخن بها الماء الذي يغسَّل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها.

يقول ابن الجوزى عن نفسه «نقلت باصبعي ــ ألف مجلد ــ لعله بقصد أن جمله ماكتب أثناء تعلمه وتأليفه ــ وتاب على يدى مائة ألف وأسلم على يدى عشرون ألف وله في الشعر مجال واسع براعة ورقة وعذوبة.

وفاتــه: توفي رحمه الله في سنة ٥٩٧ هـ[1].

(١) انظر في ذلك: تذكرة الحفاظ ١٣٤٢/٤، والبداية والنهاية ٢٩/٣.
وفيات الأعيان ٢١/٩/١ شذرات الذهب ٣٢٩/٤.
وطبقات المفسرين للداودى ٢٧٤٢٢٧/١ طبقات الحفاظ ص ٤٧٧ ــ ٤٧٨.
وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٦١ ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ١٩/١ ومابعدها.

زاد المسير في علم التفسير
ومنهج مؤلفه فيـه

التعريف بهذا التفسير :

ان مابين يديك من هذا الاسم الذي اختاره مؤلفه عنوانا لكتابه في التفسير يبين لك قصد مؤلفه منه اذ أراد أن يحصن العقول مما كثر في غيره مما لم يرتضبه المصنف من أقوال لم تصح في وجهة نظره ورأى فيما ذكره غناً لكل مسلم بدليل أنه اختار كلمة زاد المسير وهذه الكلمة تدل في معناه الموضوع لها أن مازاد عنه قد يسبب الضرر وان الاكتفاء به يضمن السلامة في البدن فهذا التفسير الاكتفاء يضمن السلامة في العقل والاعتقاد، وذلك من وجهة نظره.

وهذا الكتاب قد طبع طبعة مزيدة ومنقحة في تسعة اجزاء من الحجم الكبير قام عليها الاستاذ: محمد زهير الشاويش بجهد مشكور.

ويبين ابن الجوزى دوافعه لكتابه هذا التفسير فيقول:

(... لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم كان الفهم لمعانيه أو في المفهوم لأن شرف العلم من شرف المعلوم ... وانى نظرت في جملة من كتب التفسير فوجدتها بين كبير قد يئس الحافظ منه وصغير لايستفاد كل المقصود منه، والمتوسط منها قليل الفوائد عديم الترتيب، وربما أهمل فيه المشكل، وشرح غير الغريب فأتيت بهذا المختصر اليسير منطويا على العلم الغزير، ووسمته زاد المسير في علم التفسير)[1].

ثم بين ابن الجوزى منهجه الذي رسمه لنفسه فيه فيقول :

(... وقد أدرجت في هذا الكتاب من هذه الفنون المذكورة ـــ فنون علوم القرآن مع مالم أذكره مما لايستغنى التفسير عنه، فأرجو به وقوع الفناه بهذا

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/٣.

الكتاب عن أكثر مايجالسه، وقد حذرت نفسي من إعادة كلمة متقدمة إلا على وجه الاشارة ولم اغادر من الأقوال التي احطت بها الا ماتبعد صحته مع الاختصار البالغ فاذا رأيت في فرش الآية مالم يذكر تفسيره فهو لا يخلو من أمرين:

اما أن يكون قد سبق.
واما ان يكون ظاهراً لايحتاج إلى تفسير.

وقد انتقى كتابنا هذا أنقى التفاسير وأخذ منها الأصح والأحسن والاصون فنظمه في عبارة الاختصار، وهذا حين شروعنا فيما ابتدأنا له والله الموفق)[١].

ولقد بين لنا ابن الجوزي أن كتابه هذا هو أحد كتب ثلاث هو أوسطها في هذا العلم فنراه يقول :

(فهذا آخر زاد المسير والحمد لله على الانعام الغزير واذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا في أملنا، فلا يعتقدن من رأى اختصارنا أنا أقللنا، وإنا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ماتركنا ودللنا، فليكن الناظر كتابنا مستيقظا لما أغفلنا فإنا ضمَّنا للاختصار مع نيل المراد، وقد فعلنا، ومن أراد زيادة بسط في التفسير فعليه بكتابي (المغنى في التفسير) فان اراد اختصار فعليه بكتابنا المسمى بـ (تذكرة الأريب في تفسير الغريب، والحمدلله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أبيه آدم وذريته الانبياء والمرسلين والأولياء والصالحين وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين)[٢].

وبعد: فقد عرضنا لك دوافع تأليف الكتاب ومنهج صاحبه فيه كما رسمه لنفسه وكما ذكره هو، ووفق منهجنا سنعرض لك نماذج هذا التفسير ثم نعقب عليها اتباعا لمنهجا مع الكتب السابقة وهاك النماذج.

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/٦ ــ ٧.
(٢) زاد المسير في علم التفسير ٩/٢٨٠.

النماذج

النمـوذج الأول :

في الاحكـــام

قال تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾.
(الآية ١٥٨ من سورة البقرة)
يقول في زار المسير في علم التفسير ١ /١٦٣ ــ ١٦٤ مانصه :
قوله تعالى ﴿أن الصفا والمروة من شعائر الله﴾.
في سبب نزولها ثلاثة أقوال :

احدها: أن رجلا من الأنصار ممن كان يهل لمناة في الجاهلية ــ ومناه صنم كان بين مكة والمدينة ــ قالوا : يارسول الله إنا كنا لنطوف بين الصفا والمروة تعظيما لمناة، فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فنزلت هذه الآية. رواه عروة عن عائشة.

والثاني: ان المسلمين كانوا لايطوفون بين الصفا والمروة لأنه كان على الصفا تماثيل وأصنام فنزلت هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس وقال الشعبى كان وثن على الصفا يدعى ايساف، ووثن على المروة يدعى نائلة، وكان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويمسحونهما، وحتى جاء الاسلام كفوا عن السعى بينهما فنزلت هذه الآية.

والثالث: أن الصحابة قالت للنبى ﷺ انا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة، وان الله ــ تعالى ــ ذكر الطواف بالبيت، ولم يذكره بين الصفا والمروة فهل علينا من حرج أن نطوف بهما فنزلت هذه الآية. رواه الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن عن جماعة من أهل العلم.

قال ابراهيم بن السرى: الصفا في اللغة: الحجارة الصلبة الصلدة التي لا تنبت شيئا، وهو جمع، واحده صفاه، وصفا مثل: حصاه، وحصى والمروة الحجارة اللينة.

وهذان الموضعان من شعائر الله أى: من أعلام متعبداته.

وواحد الشعائر: شعيرة.
والشعائر كل ما كان من موقف أو سعى أو ذبح
والشعائر: من شعرت بالشيء: اذا علمت به، فسميت الأعلام التي هي متعبدات.
الله: شعائر الله.
والحج في اللغة، القصد، وكذلك كل قاصد شيئا فقد اعتمره.
والجناح : الأثم أخذ من جنح اذا مال وعدل، وأصله من جناح الطاف وانما اجتنب المسلمون الطواف بينهما لمكان الأوثان، فقيل لهم إن نصب الأوثان بينهما قبل الإسلام لايوجب اجتنابهما فأعلم الله عز وجل أنه لاجناح في التطوف بهما وان من تطوع بذلك فإن الله شاكر عليم والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل.

والجمهور قرءوا ومن تطوع بالتاء ونصب العين منهم ابن كثير ونافع وعاصم أبو عمر، وابن عامر.

وقرأ حمزة والكسائى يطوع بالياء وجزم العين، وكذلك خلافهم في التي بعدها بآيات.

فصل: اختلفت الروايات عن امامنا احمد في السعى بين الصفا والمروة فنقل الأثرم أن من ترك السعى لم يجزه حجه. ونقل أبو طالب لا شى في تركه عمداً أو سهواً ولاينبغى أن يتركه. ونقل الميمونى أنه تطوع.

التعقيب

بعد قراءتك معى لهذا النص ترى معى أن الرجل قد التزم المنهج الذي رسمه لنفسه ولم يحد عنه في هذا النموذج.

بيد أنا نلاحظ أنه اختصر الاسناد، ولعله تركه اعتماداً على كتابه المغنى في التفسير، وان كنا لانجزم بذلك لاننا لم نطلع عليه ــ غير ان ذلك لايغنى من وجهة نظرنا فكان عليه ــ على الأقل ــ ان يذكر من صحاح السنة من أتى بالخبر الذي يذكره، وخاصة انهم اسبق منه وعليهم المعول في هذا وأيضاً فإنه قد اختصر المرويات مكتفيا منها بما يشير إلى سبب النزول ولو أنه اتمها لكانت منها أدلة لما نقله عن الامام أحمد من أحكام، حيث أنه ذكر المروى عن الامام أحمد دون استدلال.

ونرى معا أن المفسر حين عرض لتفسير النص الكريم ذكر سبب النزول ثم شرح معانى الآية الكريمة لغويا، وذكر من القراءات ما يجوز به القراءة.

مسئولية الانسان عن عمله

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى، وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب، وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾.

(الآية ١٨ سورة فاطر)

يقول في زاد المسير في علم التفسير ٦/٤٨٢ ــ ٤٨٣ ما نصه.

(قد تقدم بيانه في ابراهيم[1] ١٩ ، الأنعام[2] ١٦٤ إلى قوله

«وإن تدع مثقلة» أي: نفس مثقلة بالذنوب

«إلى حملها» الذي حملت من الخطايا

«لايحمل منه شيء ولو كان» الذي تدعوه «ذا قربى» ذا قرابة

﴿إنما تنذر الذين يخشون رقهم بالغيب﴾ أي : يخشونه ولم يروه، والمعنى انما تنفع بإنذارك أهل الخشيه فكانك تنذرهم دون غيرهم، لما كان اختصاصهم بالانتفاع «ومن تزكى» أي تطهر من الشرك والفواحش، وفعل الخير.

﴿فانما يتزكى لنفسه﴾ أي: فصلاحه لنفسه، ﴿وإلى الله المصير﴾ يجزى بالأعمال.

---

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير ٣٥٤/٤ وبالنظر في تفسير الآية (١٩) لم نرى ارتباطا بين مانحن بصده من سورة فاطر وماذكر في إبراهيم ولعل الارتباط بين الآيات التالية بعدها هو المقصود.

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير ١٦٢/٣ يقول قوله تعالى ﴿ولاتكسب كل نفس إلا عليها﴾ أي لايؤاخذ سواها بعملها وقيل المعنى: الا عليها عقاب معصيتها ولها ثواب بعضها ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ قال الزجاج لاتؤخذ نفس آئمة باثم أخرى والمعنى لايؤخذ أحد بذنب غيره.

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج الذي عرضناه لك يتضح لك أن المصنف رحمه الله نهج في تفسيره للنص الكريم منهجا لغويا حيث شرح دلالة المفردات ثم أجلى المعنى بأسلوب واضح.
ولقد أحالنا إلى موضعين :

الأول الآية ١٩ سورة ابراهيم وبرجوعنا إليها، لم نر فائدة لها صلة بنصنا هذا، ونحن نرى أن الآيتين اللتين تلتا هذه الآية من سورة ابراهيم من قوله تعالى ﴿وبرزوا لله جميعا﴾ إلى قوله تعالى ﴿ إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ (الآية ٢١ ــ ٢٢) لهما نوع ارتباط في المعنى مع نصنا هذا.

الثاني : الآية ١٦٤ من سورة الآنعام، والمعنى المذكور قد نقلناه لك حتى لا نحيلك عليه ونراه معنى لغويا كما في نصنا هذا.
والمصنف لم يذكر لنا آثاراً للسابقين في هذا المعنى، ولعله رأى أن دلالة الألفاظ واضحه لاتحتاج إلى بيان.
ولا يغيب عنك أننا في منهج التفسير بالأثر المختلط بالرأى.

النمــوذج الثالث

في القصص القرآن

قال تعالى : ﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب، اذ دخلوا على داوُد ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق، ولاتشطط واهدنا إلى سواء الصراط. إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة، ولى نعجة واحدة فقال، أكلفنيها وعزنى في الخطاب، قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم، وظن داوُد أنما فتناه، فاستغفر ربه، وخر راكعا، وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾.

(الايات من ٢١ ــ ٢٤ سورة ص)

انظر زاد المسير في علم التفسير ١٢٢/٧ ــ ١٢٤.

وبعد قراءتك للنص في زاد المسير في علم التفسير ترى :

أولاً : ان المصنف رحمه الله ذكر خمسة أقوال للناس في فتنة داوُد عليه السلام ورجح منها مايليق بمقام النبوة

ثانياً : انه لايبعد كثيرا عما رأيناه نحن في هذا الجانب، وماذهب إليه شيخ الاسلام ابن تيمية في الأخذ عن أهل الكتاب وانظر ص ١١١ ومابعدها وأيضاً ص ١٥١، ١٥٧.

ثالثاً : لعلك تدرك أن المصنف رحمه الله حصل المعنى بأقرب طريق، وبذل وسعه في الذود عن حياض المفسرين من المسلمين مما يقوله من لايعي وذلك واضح في حسن اختياره لما قيل في فتنة داوُد، ووقوفه عند المعقول مما يناسب شرف كلام الله ومكانة أنبيائه.

التعليق العام

بعد قراءتك لهذه النماذج الثلاث نرى :

١ ــ أن المؤلف رحمه الله التزم المنهج الذي رسمه لنفسه وقد وضحناه لك.

٢ ــ المؤلف حرص على معالجة النص القرآنى بوضوح، يتناسب وصفاء نفسه التي حدثناك في سيرته، كما ذكرنا لك في ترجمته.

٣ ــ المفسر من علماء القرن السادس وليس من علماء القرون الأولى التي وصفت بالخيرية مما يدل على ان علماء التفسير قد تحلوا بالجوانب الايمانية، وهذا من الله فضل عظيم يختص به من يشاء لحفظ كتابه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ٩ الحجر.
ولذا فإنك تجد انهم فيما نقلوا، كانوا ممحصين بمنهج علمي وثيق الصله بالايمان، واضح القواعد لمن أراد معرفة الحق.

٤ ــ تراه عند ذكر الأحكام الفقهية يجنح إلى ماروى عن الامام أحمد، ولاشيء في ذلك لأن الامام أحمد في افتائه يعتمد على السنة كثيراً.

٥ ــ ذكر مشهور القراءات في الذي ذكرناه لك من نماذجه غير أنه ذكر بعض شواذها فى ثنايا تفسيره بصفة عامة.

وبعد، فإنه ينبغي التنبيه إلى أمور منها :

١ ــ أن الامام ابن الجوزى لم يعز لنا مارواه من آثار عمن روى عنهم ــ مع ثقتنا بحفظه ــ وكان من الخير عز والآثار إلى أصحابها كما رأيت في الدر المنثور أو يذكر لنا الرواه كما صنع الامام الطبرى.

٢ ــ أغفل بعض الآثار الصحيحة التي رويت موضحة للمعنى المقصود، وعلى سبيل المثال النموذج الثاني، وبالمقارنة بينه وبين سابقيه في ذكر هذا النموذج عندهما يتضح لك ذلك.

٣ ــ من المهم أن نبين لك ماأعتمد عليه الامام ابن الجوزى في تأليف كتابه من المراجع وهي كما يلى :

(أ) جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى.
(ب) مشكل القرآن لابن قتيبة، وكذا غريب القرآن له أيضا.
(جـ) معانى القرآن للفراء.
(د) معانى القرآن للزجاج.
(هـ) الحجة لأبى على الفارس.
(و) مجاز القرآن لابى عبيدة.
(ز) كتاب المصاحف لابن الأنبارى.
(ح) اسماء الله الحسنى للخطابى.

٤ ـ مما تجدر الإشارة إليه بيان لقدر هذا الكتاب ـ أن شيخ الإسلام بن تيمية قد استفاد منه في بعض الآيات التي تناولها بالتفسير.
يقول الدكتور ناصر بن محمد الحميد: (وقد استفاد ابن تيمية من تفسير ابن الجوزى كثيراً، ويمكن أن يكون في مقدمة التفاسير التي كان يستفيد منها عندما يكتب عن التفسير، والغالب أنه لايستفيد من هذا التفسير إلا في مجال عرض الآراء حول الآيات التي يفسرها، وهو مايتميز به تفسير ابن الجوزى حيث أنه يحشد فيه كل مايجده من أقوال في التفسير مع عدم التعليق عليها في الغالب.
ولقد ذكر الدكتور ناصر الحميد أمثلة توضح مدى استفادة شيخ الاسلام من تفسير ابن الجوزى مع بيان منهج شيخ الاسلام في الأخذ عنه[1].

---

(١) انظر ابن تيمية ومنهجه في تفسير القرآن ١/٣٧٨ ومابعدها.

رابعاً تفسير القرآن العظيم لابن كثير

مؤلف هذا الكتاب

هو الامام المحدث الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير القصرى البصروى.

مولـــده: ولد سنة ٧٠٠ هـ على الارجح وقيل ٧٠١ هـ بقرية شرقي بصرى من أعمال دمشق.

نشأتـــه وثقافتـــه :

لقد نشأ الحافظ بن كثير في بيت علم فوالده من علماء الشافعيه العاملين، تفقه على الشيخين برهان الدين الغزارى، وكمال الدين قاضي شبهة، ثم صاهر الحافظ أبا الحجاج المزى، ولازمه وأخذ عنه تأثر بشيخ الاسلام ابن تيميه وناضل عنه واتبعه في كثير من آرائه وكان يفتى برأيه في مسألة الطلاق وامتحن بسبب ذلك وأوذى كثيراً.

مصنفاتـــه :

المؤلف رحمه الله عنى بالتصنيف منذ سن مبكرة ومن أشهر كتبه التي بين يدينا كتاب التاريخ المسمى «البداية والنهاية» وهو كتاب غنى عن التعريف وكتاب التفسير الذي نحن بصدد الحديث عنه.

وذكر اصحاب التراجم كتبا كثيرة تراجع في مظانها عند أهل التراجم.

مكانتـــه العلميـــة

قال عنه شيخه في المعجم المختص (فقيه متفنن ومحدث متقن ، ومفسر نقاد).

وقال تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجى (كان أحفظ من أدركنا، لمتون الأحاديث وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان قررناؤه

وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئا كثيراً من الفقه والتاريخ قليل النسيان، وكان فقيها جيد الفهم صحيح الذهن ويحفظ «التنبيه» إلى آخر وقت، ويشارك في العربيه مشاركة جيدة، وينظم الشعر.

وماأعرف أني اجتمعت به على كثرة ترددى إليه إلا واستفدت منه).

وقال ابن حجر: (كان كثير الاستحضار، وصارت تصانيفه في البلاد في حياته وانتفع به الناس بعد وفاته، ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالى، وتمييز العالى من النازل ونحو ذلك من فنونهم، وانما هو من محدثي الفقهاء ويدفع السيوطى عنه مقوله ابن حجر فيقول: (قلت: العمدة في علم الحديث معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله، واختلاف طرقه ورجاله جرحا وتعديلاً وأما العالى والنازل ونحو ذلك فهو من الفضالات لا من الأصول المهمة).

ونحن لانسلم للسيوطى في قوله (وأما العالى والنازل ونحو ذلك فهو من الفضالات لامن الأصول. وذلك لأمرين.

الأول : ماذكره الامام أحمد ابن حنبل حيث يقول : (طلب الاسناد العالى سنة عَمَّن سلف).

الثاني : ان جمهور العلماء على أن العلو أفضل من النزول على الصحيح وقد يفضل النزول العلو اذا تميز الاسناد النازل بفائدة كأن يكون رجاله أوثق من رجال الاسناد العالى، أو احفظ أو افقه.

كما لانسلم أيضا لابن حجر مقولته عن ابن كثير أنه لايميز العالى من النازل وذلك اعتماداًمنا على شهادة شيخه له، وشهادة تلميذه له كذلك.

اخلاقــه: كان رحمه الله له من الفضل مالا ينكره أحد من عقلاء الناس، ومن له غيره على دينه يشهد لذلك ماحدثناك عنه عن امتحانه وما أوذى فيه من خلال وفائه لشيخ الاسلام ابن تيمية.

وفاتــه[1]: **توفى في شعبان سنة ٧٧٤هـ جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيراً.**

(١) انظر: البدر الطالع ١٥٣/١ ذيل نذكرة الحفاظ ٥٧، ٣٦١.
شذرات الذهب ٢٣١/٦ النجوم الزاهرة ١٢٣/١١.
طبقات الحفاظ ٥٢٩ ــ ٥٣٠ طبقات المفسرين للداوُدى ١١٠/١ ــ ١١١.
تيسير مصطلح الحديث ١٨٠ ــ ١٨٣.

تفسير القرآن العظيم ومنهج مؤلفه فيه

ان كتاب تفسير القرآن العظيم يعتبر من الأهمية بمكان فهو من أشهر الكتب التي تجمع بين تفسير القرآن الكريم بالقرآن، وتفسير القرآن بالآثار عن رسول الله ﷺ وعن سلف الأمة معزوه إلى أصحابها، مع بيان صحيحها من غيره، على ضوء ماقرره أهل الجرح والتعديل.

ولقد طبع هذا التفسير مع معالم التنزيل للبغوى.
ثم طبع مستقلا في أربعة اجزاء من الحجم الكبير ملحقاً به كتاب فضائل القرآن بمطبعة الحلبي وقد قامت دار الشعب بطبعه في ثمانية مجلدات محققا.

وقد قام الأستاذ أحمد شاكر بطبعه بعد تجريده من الأسانيد، ومع ما يبذله المحقق من جهد فانه وان كان رفع الأسانيد تيسيرا على البعض فان حاجة أهل العلم إلى الاسناد أولى وأحق.
يقول السيوطى عنه: (التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله)[1].
ويقول الدكتور الذهبى: (ومما يمتاز به ابن كثير أنه ينبـه إلى مافي التفسير المأثور من منكرات الاسرائيليات ويحذر منها على وجه الاجمال تاره، وعلى وجه التعين والبيان لبعض منكراتها تارة اخرى ...

ويقول أيضاً: ونجد ابن كثير يرجح بعض الأقوال على بعض ويضعف بعض الروايات ويصحح بعضا أخر منها، ويعدل بعض الروايات ويجرح بعضا آخر وهذا يرجع إلى ما كان عليه من العرفة بفنون الحديث وأحوال الرجال)[2].

ويقول الشيخ مناع القطان قال فيه محمد رشيد رضا (هذا التفسير من أشهر كتب التفسير في العناية بما روى عن مفسرى السلف، وبيان ما في

(١) طبقات الحفاظ ص ٥٣٠.
(٢) التفسير والمفسرون ١/٢٤٤ ــ ٢٤٥.

الآيات واحكامها وتحاش ما أطال به الكثيرون من مباحث الاعراب ونكت فنون البلاغه أو الاستطراء بعلوم اخرى لايحتاج إليها في فهم القرآن ولا التفقه فيه ولا الا تعاظ .

ومن مزاياه العناية، بما يسمونه تفسير القرآن بالقرآن وهو أكثر ما عرفنا من كتب التفسير سرداً للآيات المتناسبة في المعنى، ويلى ذلك فيه الأحاديث المرفوعة التي تتعلق بالآية وبيان ما يحتج به منها، ويليهما آثار الصحابة وأقوال التابعين ومن بعدهم من علماء السلف.

ومنها تذكيره بما في التفسير المأثور من منكرات الإسرائيليات وتحذيره منها بالاجمال وبيانه لبعض منكراتها بالتعيين، وياليته استقصى ذلك، أو ترك ايراد مالم تتوفر فيه داعية التمحيص والتحقيق)[1].

الدواعـى إلى تأليفـه :

ذكر ابن كثير ــ رحمه الله داعى العناية بالتفسير عند المسلمين في بداية مقدمتة إذ يقول (فالواجب على العلماء الكشف عن معانى كلام الله وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالي ﴿وإذا أخذ اللهميثاق الذين أوتوا الكتابه لتبيننه للناس، ولا تكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون﴾ الآية ١٨٧ سورة آل عمران.

وقال تعالى ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الأخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾ الآية ٧٧ سورة آل عمران.

قدم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا لاعراضهم عن كتاب الله المنزل عليهم، وإقبالهم على الدنيا، وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب

---

(١) مباحث في علوم القرآن ٣٨٦ ــ ٣٨٧.

الله. فعلينا أيها المسلمون ـــ أن ننتهي عما ذمهم الله ـــ تعالى ـــ به وأن تأمرنا بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا، ونفهمه ونفهِّمه، قال تعالى: ﴿ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون أعلموا أن الله يحى الأرض بعد موتها قدبينا لكم الأيات لعلكم تعقلون﴾ الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الحديد.

ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحي الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالايمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصى والله المؤمل المسئول أن يفعل بنا هذا انه جواد كريم)[١].

منهجـه في التفسير:

يحدثنا ابن كثير عن منهجه فيقول (فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير فالجواب ان أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن[٢] إلى ... آخر ماقال.

أن ماذكره الحافظ بن كثير منهجا له في تفسيره هو نفس المنهج الذي اعتمدة شيخ الاسلام بن تيمية بنصه تماما كما نقلناه لك سابقا فلا دعى لنقله هنا، وحسبنا أن نقول ان شيخ الإسلام ابن تيمية قد أجاد في اختياره المنهج، وقد أجاد بن كثير في ايمانه به، ويعتبر تفسير ابن كثير ـــ فيما نعلم ـــ أول تطبيق عملى لمنهج شيخ الاسلام ابن تيمية في القرآن كله. مع ماتميز به من حسن العرض وتحقيق المنهج الذي آمن به والامام الحافظ ابن كثير وان كان لم يعزما ذكره إلى شيخ الاسلام ابن تيمية فانا قد حدثناك عن الصلة بينهما وماترتب عليها من ايذاء لابن كثير ونحن ـــ على كل حال ـــ نرى أن ذلك وفاء من ابن كثير للمنهج وصاحبه حيث بتفسيره قد أوضح لنا

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٠٣/١.

صحة هذا المنهج وسلامته عن الانحراف فجزى الله شيخ الاسلام ابن تيميه والحافظ ابن كثير عن المسلمين خير الجزاء جزاء من ربك عطاء حسابا.

ولقد أورد ابن كثير في مقدمة كتابه علوما لاغنى عنها لطالب معانى القرآن الكريم وكذا في فضائله فاقرأ مقدمته ١/١ ــ ٨ وفضائل القرآن وهو ذيل تفسير الحافظ ابن كثير وضعه في آخر التفسير وجعله متمما له ضمن الجزء الرابع.

وهاك بعض النماذج التطبيقية ليتضح لك منهجه، ونقارن بينه وبين سابقيه من مناهج أصحاب التفسير بالمأثور مختلطا بالرأى.

النموذج الأول

في الاحكام

قال تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾.
(الآية ١٥٨ سورة البقرة)

قال في تفسير القرآن العظيم ١٩٨/١ ــ ٢٠٠ مانصه:
(قال الامام أحمد: حدثنا سليمان بن داوُد الهاشمى أنا ابراهيم بن سعد عن الزهرى عن عروه عن عائشة قال: قالت أرأيت قول الله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾. قلت فوالله ما على أحد جناح أن لايطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت بابن اختى انها لو كانت على ما أولتها عليه كانت فلا جناح عليه ان لايطوف بهما، ولكنها انما انزلت ، ان الأنصار كانوا قيل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدوها عند المشلل، وكان من أهل لها بتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله انا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمرو في الجاهلية فأنزل الله عز وجل ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾قالت عائشه: ثم قدسَنْ رسول الله ﷺ الطواف بهما، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما أخرجاة في الصحيحين.

وفي روايه عن الزهرى أنه قال: حدثت بهذا الحديث أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام. فقال: إن هذا العلم ماكنت سمعته، ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يقولون: ان الناس ــ الا من ذكرت عائشة ــ كانوا يقولون: إن طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية، وقال آخرون:

من الأنصار: انما أمرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر بالطواف بين الصفا والمروة، فأنزل الله تعالى ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾. قال أبو بكر بن عبد الرحمن فلعلها نزلت في هؤلاء وهؤلاء.

ورواه البخارى من حديث مالك عن هشام بن عروه عن ابيه عن عائشة بنحو ماتقدم ثم قال البخارى: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عاصم بن سليمان قال: سألو أنسا عن الصفا والمروة قال : كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الاسلام امسكنا عنهما فأنزل الله عز وجل ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾.

وذكر القرطبى في تفسيره عن ابن عباس قال كانت الشياطين تعزف[1] بين الصفا والمروة الليل كله، وكانت بينهما آلهه فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله ﷺ عن الطواف بينهما، فنزلت هذه الآية[2].

وقال الشعبى: كان اساف على الصفا، وكانت نائلة على المروة وكانوا يستلمونهما فتحرجوا بعد الاسلام من الطواف بينهما فنزلت هذه الآية.

قلت: «ذكر محمد بن اسحاق في كتاب السيرة[3] إن اسافا، ونائلة كانا بشرين فزنيا داخل الكعبة فمسخا حجرين، فنصبتهما قريش تجاه الكعبة ليعتبر بهما الناس فلما طال عهدهما عبدا، ثم حولا إلى الصفا والمروة، فنصبا هنالك فكان من طاف بين الصفا والمروة يستلمهما، ولهذا يقول أبو طالب في قصديته المشهورة:

وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم .. لمفضى السيول من إساف ونائل

وفي صحيح مسلم جاء حديث جابر الطويل وفيه ان رسول الله ﷺ لما

---

(١) في الأصل تفرق ولكن عند القرطبى تعزف.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧٩/٢.

(٣) سيرة بن هشام ٨٥/١، والذي في النسخ التي بين أيدينا: أحدثا «بد لكلمة فزنيا).

فرغ من طوافه بالبيت عاد إلى الركن، فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ ثم قال «أبدأ بما بدأ الله به». وفي رواية النسائي: ابدءوا بما بدأ الله به».

وقال الامام احمد: حدثنا شريح حدثنا عبدالله بن المؤمل عن عطاء بن أبي رباح عن صفية بنت شيبه عن حبيبه بنت أبي تجراه قالت رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يدية وهو وراءهم وهو يسعى حتى أرى ركبته من شدة السعى يدور به ايزاره وهو يقول «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي».

ثم رواه الامام احمد عن عبد الرزاق، أنا معمر عن واصل مولى ابى عيينه عن موسى ابن عبيدة عن صفية بنت شيبة ان امرأة أخبرتها أنها سمعت النبى ﷺ بين الصفا والمروة يقول «كتب عليكم السعى فاسعوا».

وقد استدل بهذا الحديث على مذهب من يرى أن السعى بين الصفا والمروة ركن في الحج كما هو مذهب الشافعى ومن وافقه، ورواية عن أحمد وهو المشهور عن مالك وقيل إنه واجب وليس بركن فإن تركه عمدا أو سهواً جبره بدم وهو رواية عن احمد وبه يقول طائفة.

وقيل بل مستحب وإليه ذهب أبو حنيفة والثورى والشعبى وابن سرين وروى عن انس وابن عمر وابن عباس ، وحكى عن مالك في العتيبة، قال القرطبى[1] واحتجوا بقوله تعالى ﴿فمن تطوع خيراً﴾ .

والقول الأول ارجح لأنه عليه السلام طاف بينهما وقال: «لتأخذوا عنى مناسككم؟ فكل مافعله في حجته تلك واجب لابد من فعله في الحج إلا ماخرج بدليل والله أعلم وقد تقدم قوله عليه السلام «اسعوا فان الله كتب عليكم السعى».

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٢.

فقد بين الله تعالى أن الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله، أى مما شرع الله تعالى لابراهيم في مناسك الحج وقد تقدم في حديث ابن عباس أن أصل ذلك مأخوذ من طواف هاجر وترددادها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها لما نفد ماؤهما، وزادهما حين تركهما ابراهيم عليه السلام هنالك وليس عندهما أحد من الناس، فلما خافت على ولدها الضيعه هنالك وفقد ماعندهما قامت تطلب الغوث من الله ــ عز وجل ــ فلم تزل تتردد بين هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة، مضطرة فقيرة إلى الله عز وجل حتى كشف الله كربها وأنس غربتها وفرج شدتها، وانبع لها زمزم التى ماؤها طعام طعم وشفاء سقم»[1].

فالساعى بينهما ينبغي له أن يستحضر فقره وذله وحاجته إلى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه، وأن يلتجىء إلى الله عز وجل لتفريج ماهو به من النقائص والعيوب وأن يهديه إلى الصراط المستقيم، وأن يثبته عليه إلى مماته وأن يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصى إلى حال الكمال والغفران والسداد والاستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام.

وقوله ﴿فمن تطوع خيراً﴾ قيل زاد في طوافه بينهما على قدر الواجب ثامنة وتاسعة ونحو ذلك، وقيل يطوف بينهما في حجة تطوع أو عمرة تطوع، وقيل المراد تطوع خيراً في سائر العبادات حكى ذلك الرازى[2] وعزا الثاني إلى الحسن البصرى والله أعلم.

وقوله: ﴿فإن الله شاكر عليم﴾ أي يثيب على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخت أحد ثوابه ﴿ولايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾[3].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٢.
(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ١٦١/٤.
(٣) من الآية ٤٠ من سورة النساء.

التعقيب

يعد قراءتك للنموذج الذي عرضناه لك تبصر أن المؤلف ـ رحمه الله ـ التزم منهجه وذلك يتضح فيما يأتى ...

١ ـ ذكر من الآثار الصحاح مايوضح المعنى المفاد من النص غير أنه يبدأ بذكر نص كامل، ثم يأخذ عن غيره موطن الأستشهاد وفي كل يعزو كل نص إلى الكتاب الذي ذكره.

٢ ـ لم يشغل نفسه بدلالات لغوية للألفاظ غير ما تدل بوضعها عليه في النص الكريم.

٣ ـ ذكر الأقوال الفقهيه التي قالها العلماء في حكم السعى بين الصفا والمروة ورجح أنه ركن من أركان الحج غير أنه نسب إلى ابى حنيفة مالم يعرف عنه ولم يذكر لمفسر غيره فيما نعلم.

٤ ـ لم يتعرض للقراءات المتواترة أو غيرها.

النموذج الثاني

مسئوليه الإنسان عن عمله

قال تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾.
(الآية ١٨ من سورة فاطر)

قال في تفسير القرآن العظيم ٣/٥٥١ ــ ٥٥٢ مانصه.
﴿قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي يوم القيامة.

﴿وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ أي ان تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تساعد على حمل ماعليها من الأوزار أو بعضها.

﴿لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾أي وان كان قريبا إليها حتى ولو كان أبوها أو ابنها كل مشغول بنفسه وحاله.

قال عكرمة في قوله تعالى ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها﴾الآية قال هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يارب: سل هذا كان يغلق بابه دونى، وان الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له يامؤمن ان لى عندك يداً قد عرفت كيف كانت لك في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو في النار، وان الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يابنى: أي والد كنت لك فيثنى خيراً، فيقول له يابنى : انى قد احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى فيقول له ولده: ياأبت ماأيسر ماطلبت ولكنى أتخوف مثل ماتتخوف فلا استطيع أن اعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجته فيقول يا فلانة أو ياهذه: أي زوج كنت لك

فتثنى خيراً فيقول لها: إنى أطلب إليك حسنة واحدة تهبيها لى لعلى أنجو بها مما ترين قال: فتقول ماأيسر ماطلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئا إنى اتخوف مثل الذي تتخوف يقول الله تعالى ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها﴾ الآية ويقول تبارك وتعالى: «لايجزى والد عن ولده، ولامولود هو جاز عن والده شيئا».

ويقول تعالى ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شآن يغنيه﴾ رواه ابن أبى حاتم رحمه الله عن ابى عبد الله الزهرانى عن حفص عن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمه به ثم قال — تبارك وتعالى ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ أي انما يتعظ بما جئت به أو لوا الأبصار والنهى الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به.

﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾ أي ومن عمل صالحا فإنما يعود نفعه على نفسه ﴿وإلى المصير﴾ أي وإليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب ويجزي كل عامل بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر.

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج ترى أن المؤلف رحمه الله تعالى: قد بدأ بشرح معانى الآيات حسب ألفاظها دون الدخول في نواحى لغوية.
ثم ذكر من الآثار مايشهد لما فسره به ذاكراً من رواه وقد سبق لنا أن خرجناه لك في عرضنا لهذا النموذج من كتاب الدر المنثور فارجع اليه كما تراه قد ذكر ضمن الأثر من الآيات مايدل لمعناه سيراً وراء منهجه تفسير القرآن بالقرآن.
ولعلك تلاحظ معنا أن تفسير المؤلف للنص الكريم قد سار فيه بأسلوب يفيد أهل العلم وغيرهم.
وترى معنا أن النص لايحتاج أكثر مما ذكره المصنف رحمه الله تعالى.

النمـوذج الثالث

القصص القرآنـى

قال تعالى ﴿وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب، اذ دخلوا على داوُد ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق، ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط، ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجه ولى نهجة واحدة، فقال : أكفلنيها وعزنى في الخطاب، قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم، وظن داوُد أنما فتناه، فاستغفر ربه، وخر راكعا، وأناب﴾.

(الآيات ٢١ ــ ٢٤ سورة ص)

انظر في ذلك تفسير القرآن العظيم ٤/٣٠ ــ ٣٣

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج ترى :

١ ــ أن المصنف ضرب صفحا عن ذكر الروايات المنسوبة إلى أهل الكتاب بصفة عامة لأنه لم يثبت فيها نص عن المعصوم ﷺ، وقد سبق أن بينا لك أن في موقفه عصمة من الزلل.

٢ ــ انه يرى الاقتصار على مجرد التلاوة فيها وأن يُرد علمها إلى الله عز وجل.

٣ ــ تعرض المصنف لحكم سجدة ص وهل من عزائم السجود أم هي سجدة شكر واختار الثانى مؤيداً ماذهب إليه بالآثار مبينا درجتها.

التعليق العام

بعد اطلاعك على هذه النماذج الثلاثة من تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير وما عقبنا به على كل نموذج منها نجمل لك مانراه من اتباع الرجل لمنهجة حتى تبين لك المنهج ضمن منهج أصحاب التفسير بالأثر مختلطا بالرأى:

أولاً :الرجل فسر القرآن بالقرآن في المواضع التي احتاجت إلى ذلك.

ثانيـــاً :حرص على أن يذكر الآثار التي توضح المعنى معتمداً على صحيحها، ويلجأ إلى ذكر نص كامل لاثر منها ثم يأخذ من باقى الآثار الأخرى موطن الاستشهاد.

ثالثـــاً :يهتم الرجل بنقد السند حتى يميز الاسانيد التي يحتج بها من غيرها. وهذا يدل على مزيد علمه بالرجال وأحوالهم وفنون علم الحديث كما ذكرنا لك في ترجمته.

رابعـــاً :نراه غير مشغول بالاستعمالات اللغوية بصفة عامة لكنك تراه يقترب من النص بأيسر طريق واضعا أمامه منهج رسول الله ﷺ وصحابته، فهو بذلك ــ برغم أنه من علماء القرن الثامن ــ قد ربط ماضى الأمة بحاضرها الذي عاصره، مبينا أهمية هذا المسلك في التفسير في كل عصر.

خامساً :له منهج مستقل فيما ينقل عن أهل الكتاب.

سادساً :يعرض للأحكام الفقهية ــ فيما يعرض منها ــ ثم يختار منه مايرجحه ذاكر دليل مايذهب اليه.

بهذا المنهج يطمئن العالم وغيره إلى تفسير ابن كثير، وننبه بذلك إلى أننا لسنا مع اختصار مثل هذه الكتب التي بينا قدرها، وخدمة هذه الكتب انما تكون بإكمال ما عساه يكون قد تركه المؤلف.

خامساً : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطى

التعريف بمؤلف الكتاب:

هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد سيدى أحمد المختار الجكنى الشنقيطى.

وهذه النسبة لقرية من أعمال مديرية أطار في أقصى موريتانيا في الشمال الغربي.

مولــده :

ولد رحمه الله في عام ١٣٢٥ هـ عند ماء يسمى تنية من أعمال مديرية كيفا من القطـر المسمى شنقيط ـــ موريتانيا الإسلامية الآن ـــ

نشأتــه وثقافتــه :

نشأ رحمه الله في بيت علم فأهله وذووه لهم باع طويل في العلم وفنونه فيما كانوا يهتمون به ويحفظون منه الكثير من منثوره أو منظومه على حد سواء.

وكانوا يتميزون بحفظهم لعروبتهم ودينهم فينطقون بفصيح العربية، ويستمسكون بتعاليم الإسلام في حياتهم الخاصة والعامة فهم صورة صادقة للعربى المسلم يقول عن نفسه: وتوفى والدى وأنا صغير أقرأ في جزء (عم) وترك لى ثروة من الحيوان والمال، وكانت سكناى في بيت أخوالى، وأمى ابنة عم أبى وحفظت القرآن على خالى عبد الله بن محمد المختار بن ابراهيم بن أحمد نوح جد الاب المتقدم).

طلبــه للعلــم :

حفظ القرآن الكريم على خاله كما ذكرنا وأتمه وهو ابن عشر سنوات، قال رحمه الله (ثم تعلمت رسم المصحف العثماني ـــ المصحف الأم ـــ

عن ابن خالي سيد بن محمد بن أحمد بن محمد المختار، وقرأت عليه التجويد في مقرأ نافع برواية ووش من طريق أبي يعقوب الأزق، وقالون من رواية أبي نشيط، وأخذت عنه سندا بذلك إلى النبي ﷺ وذلك وعمرى ست عشرة سنة وهذه الدراسة للقرآن الكريم لم تكن للحفظ والأداء فقط، بل كانت منهجا متكاملا في حفظ القرآن نتناول رسم المصحف، من جهة ما كان موصولا أو مفصولا ومارسم فيه المد، وما كان يمد بدون وجود حرف المد، وأيضا كان بجانب هذا ينهل من بعض علوم المعرفة التي لاغنى عنها لطالب العلم، ويحدثنا عن ذلك فيقول: وفي أثناء هذه القراءة درست بعض المختصرات في فقه مالك كرجز الشيخ بن عاشر، وفي أثنائها أيضا درست دراسة واسعة في الادب على زوجة خالي، أخذت عنها مبادىء النحو كالأجرومية، وتمرينات ودروس واسعة في أنساب العرب وأبائهم ، والسيرة، ونظم الغزوات لأحمد البدوى الشنقيطي وهو يزيد على خمسمائة بيت، وشرح ونظم عمود النسب للمؤلف، وهو يعد بالآلاف.

ومع هذا فقد درس الفقه أيضاً والصرف والاصول والبلاغة وبعض التفسير على جماعة، يقول عن نفسه :(... وقد أخذنا عن هؤلاء المشايخ كل فنون النحو والصرف والأصول والبلاغة، وبعض التفسير والحديث أما المنطق وأدب البحث والمناظرة فقد حصلناه بالمطالعة.

مؤلفاتـه: إن مؤلفات الشيخ رحمه الله كان بعضها في بلدة وبعضه في المملكة العربية السعودية، فمما ألفه في بلده:

١ ــ انساب العرب.
٢ ــ رجز في فروع مذهب مالك بالعقود من البيوع والرهون.
٣ ــ الفيه في المنطق.
٤ ــ نظم في الفرائض.

ومما ألفه في المملكة العربية السعودية.

١ ــ منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والاعجاز.
٢ ــ دفع ايهام الأضطراب عن آى الكتاب.
٣ ــ مذكرة الأصول على روضة الناظر.

٤ ــ آداب البحث والمناظرة.
٥ ــ أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن.

وفاتــه: توفي رحمه الله سنة ١٣٩٣ هـ[1]

---

(١) هذه الترجمة مأخذة من مقدمة أضواء البيان بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم القاضى بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة.

أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ومنهج مؤلفه فيه

مازلنا معك أيها القارىء الكريم في منهج التفسير بالمأثور مختلطا بالرأى، وليكن تفسير أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن آخر عهدنا معك في الكلام من هذا المنهج،.

وقد اخترناه للدراسة لأنه معاصر، ونكون بذلك قد وفينا هذا المنهج بعض حقه، حتى تستبين لك طريق كل إمام ممن ذكرنا خاصا به وفق عرضه لهذا المنهج.

ولنا معك ــ بعون الله سبحانه وتعالى ــ لقاء عند التعليق العام على هذا الكتاب وقبل عرضنا للنماذج التي اعتبرناها مقياسا لعرض الكتب نحدثك عن الداعية لتأليف هذا الكتاب ومنهج مؤلفه فيه، من خلال ماذكره رحمه الله تعالى.

الداعية لتأليف الكتاب :

يقول رحمه الله : (... فإنه لما عرفنا اعراض أكثر المتسمين باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم، ونبذهم له وراء ظهورهم، وعدم رغبتهم في وعده وعدم خوفهم من وعيده، علمنا أن ذلك مما يعين على من أعطاه الله علما بكتابه أن يجعل همته في خدمته من بيان معانيه، وإظهار محاسنه، وازالة الاشكال عما إشكل منه، وبيان أحكامه، والدعوة إلى العمل به، وترك كل ما يخالفه[1].

منهج المؤلف :

يحدثنا الشيخ في كتابه فيقول: (وأعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران :

---

(١) أضواء البيان ٦٧/١.

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لاجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، اذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله ــ جل وعلا من الله جلا وعلا، وقد التزمنا أنا لانين القرآن إلا بقراءة سبعيه، سواء كانت قراءه أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى أو غيرها، ولا نعمد على البيان بالقراءات الشاذة أو ربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهاداً للبيان بقراءة سبعية.

وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا، ولاعند المحققين من أهل العلم بالقراءات.

والثاني : بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة ــ بالفتح ــ في هذا الكتاب، فإننا نبين مافيها من الاحكام وأدلتها من السنة، وأقوال العلماء في ذلك ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين، ولا لقول قائل معين، لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود الا كلامه ﷺ ومعلوم ان الحق حق ولو كان قائله حقيراً[١].

من النقل السابق يتضح منهج الشيخ في كتابه وهو يتلخص فيما يأتى :

١ ــ تفسير القرآن بالقرآن.
٢ ــ الاعتماد في التفسير على القراءات السبع.
٣ ــ ذكر القراءة الشاذة للاستشهاد لبيان قراءة سبعية.
٤ ــ بيان الأحكام الفقهيه المستنبطة من الآيات وذكر أقوال العلماء مع بيان أدلة الأحكام من السنة، ثم ترجيح الراجح من وجهة نظره.

ولتكن النماذج المختارة من هذا التفسير خير عرض لهذا المنهج.

(١) أضواء البيان ١/٦٧ ــ ٦٨.

النموذج الأول
في الأحكام

قوله تعالى :﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما، ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم﴾.
(الآية ١٥٨ من سورة البقرة)

لم يتعرض المؤلف لهذه الآية الكريمة رغم أهمية البيان في هذه الآية، وقد وضح لك مما ذكرناه من التفاسير السابقة كلام المفسرين حولها.

وكان من حق القارىء علينا، ومن حق الكتاب أيضاً أن نختار نصا آخر من نصوص الأحكام التي تعرض لها المؤلف وهي كثيرة ــ لكننا أثرنا ترك ذلك للقارىء، واستمسكنا بنماذجنا لاننا كما نهدف إلى توحيد النماذج بيانا لما يعرضه المفسرون من أصحاب المنهج، نهدف أيضا إلى بيان درجة اتباع المفسرين له.

التعقيب

المؤلف سار على منهجه في عدم تفسير آيات القرآن كاملا بل فسر بعضه وترك البعض، وكان مما تركه هذه الآية الكريم،.

وذلك لأن منهجه رحمه الله تعالى أن يوضح القرآن بالقرآن ولما كانت هذه الآية ليس لها مايوضحها من القرآن تركها كما ترك غيرها مما شاكلها وهو كثير وهو بذلك قد التزم منهجه وهو ايضاح القرآن بالقرآن.

النموذج الثاني

مسئولية الانسان عن عمله

قال تعالى: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى، وان تدع مثقلة إلى حملها، لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى، إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير﴾.
(الآية ١٨ سورة فاطر)

قال في أضواء البيان ٦٤١/٦ ــ ٦٤٢ مانصه
قوله تعالى : ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ قد قدمنا الآيات الموضحة له مع الجواب عن بعض الأسئلة الواردة على الآية في سورة بنى اسرائيل في الكلام على قوله تعالى: «ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً.
وما قاله في سورة بنى اسرائيل هو قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ذكر جل وعلى ــ في هذه الآية الكريمة أنه لاتحمل نفس ذنب أخرى، بل لا تحمل نفسه الا ذنبها فقوله ولا تزر أي لا تحمل من وزر يزر اذا حمل ومنه سمى وزير السلطان لأنه يحمل أعباء تدبير شئون الدولة، والوزر الاثم، يقال وزر يزر وزرا إذا اثم،والوزر ايضا الثقل المثقل أي لا تحمل نفس وزر أي آثمة وزر نفس أخرى اى اثمها أو حملها الثقيل بل لا تحمل الا وزر نفسها.

وهذا المعنى جاء في آيات أخرى كقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾.
وقوله: ﴿ولا تكسب كل نفس الا عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم﴾الآية

وقوله ﴿تلك امة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون إلى غير ذلك من الآيات﴾.

وقد قدمنا في سورة النحل[1] بإيضاح أن هذه الآيات لا يعارضها قوله تعالى: ﴿وليحملن اثقالهم، واثقالا مع اثقالهم ﴾. الآية، ولا قوله ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذي يضلونهم بغير علم﴾. الآية «لأن المراد بذلك أنهم حملوا أوزار ضلالهم في أنفسهم وأوزار اضلالهم غيرهم لأن من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها لاينقص ذلك من أوزارهم شيئا كما تقدم مستوفى[2].

قوله تعالى ﴿وان تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء﴾ قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل[3] في الكلام على قوله تعالى ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء مايزرون﴾ ووجه الجمع بين أمثال هذه الآية، وبين قوله تعالى: وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ونحوها من الآيات.

قوله تعالى:﴿انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن انذاره ﷺ محصور في الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة، وهذا الحصر الاضافي لأنهم المنتفعون بالانذار وغير المنتفعين بالانذار كأنه هو والذي لم ينذر سواء بجامع عدم النفع في كل منهما.

وهذا المعنى جاء موضحا في آيات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون، انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب﴾ الآية وقوله: ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ ويشبه

---

(١) أضواء البيان ٣/٢٥٤ ــ ٢٥٦.
(٢) أضواء البيان ٣/٤٦٩ ــ ٤٧١.
(٣) أضواء البيان ٣/٢٥٤ ــ ٢٥٦.

معنى ذلك في الجملة قوله تعالى: ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وقد قدمنا معنى الانذار وأنواعه موضحا في سورة الأعراف[4] في الكلام على قوله تعالى: ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾.

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج وما أحالنا الشيخ عليه مما ذكرناه لك يتضح لك مايأتى :

١ ــ المؤلف رحمه الله قد التزم منهجه في تفسير القرآن بالقرآن.

٢ ــ وفي ذلك قد جمع الآيات التي تربط بمعنى واحد ببعضها مع توجيهه لها. بما يفهم من خلال ربطه للآيات.

٣ ــ ذكر بعض مايرد على تفسير الآيات مما يظهر أنه مناقض لها ثم رده بيان عدم التناقض، ومن ثم لجأ إلى السنة النبوية ليدعم بها وجهة نظرة.

٤ ــ جمع بين ماظاهره عام وظاهره خاص وذلك بيان وضح المراد في كل منها.

٥ ــ استعان باللغة وتصريفها لبيان المعنى المراد من النص الكريم كما يفهمه.

---

(٤) أضواء البيان ٢/٢٨٦ ــ ٢٨٨.

النموذج الثالث

في القصص القرآني

قال تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب، اذ دخلوا على داوُد ففزع منهم، قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق، ولاتشطط وأهدنا إلى سواء الصراط، ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة، ولي نعجة واحدة فقال: أكلفنيها وعزني في الخطاب، قال: لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وان كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم، وظن داوُد أنما فتناه، فاستغفر ربه، وخر راكعا، وأناب. ، فغفرنا له ذلك وإن له عندا لزلفى وحسن مآب﴾.
سورة ص الآيات ٢١ ــ ٢٥

انظر في ذلك أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ٧/٢٤.
وانظر ايضا أضواء البيان ٤/٥٣٥ ــ ٥٣٩.

التعقيب

بعد قراءتك لهذا النموذج في أضواء البيان يتضح لك أن الشيخ قد ضرب صفحا عن الروايات المذكورة في هذا الجانب سالكا مسلك بن كثير وان كان لم يذكره، بيد أنه قد أحال في هذا البيان إلى سورة طه فما ذكرناه لك وبمراجعتك اياه تجده حول عصمة الانبياء، وأقوال أهل العلم فيها، ثم ذكر رأيه في ذلك.

التعليق العام

هذا التفسير نهج مستقبل لمؤلفه اختار له اسم: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» وظاهر الاسم أن هذا الكتاب ليس من كتب المنهج الذي نتعرض له وهو التفسير الأثرى مخلوطا بالرأى لأن القرآن ليس أثرا عرفا والمقصود بالعرف عرف أهل الدراسات القرآنية والشرعية لكننا اخذناه بين ما اخترناه لايضاح هذا المنهج لما يأتى:

١ ــ إن ايضاح القرآن بالقرآن هو اجتهاد من المؤلف والمقصود بالاجتهاد أن المؤلف استشعر أن آية في كتاب الله موضحة لآية أخرى في غالب الأمر.

٢ ــ أن المؤلف تعرض في تفسيره لبعض آيات الأحكام التي ذكرها لأقوال الفقهاء مستدلا لكل قول من القرآن ومن السنة بما يشهد له ثم اختار قولا رجح عنده واستدل لرجحانه من القرآن ومن السنة وهذا أيضا رأى.

٣ ــ أنه استعمل الدلات اللغوية لتوضيح المعنى الذي تبادر له ووجده أقرب إلى الصواب.

٤ ــ أنه يلجأ إلى قواعد بعض العلوم التى ذكرها أصحابها استنباطا من اللغة ومن الشرع ليوضح بها المعنى الذي فهمه وهذا أيضاً رأى.

وعلى هذا فنظراً لأنه استعان بالحديث وبالأقوال المأثورة عند عرض الأحكام ورجح منها مارجح ساغ لنا أن نجعله ضمن هذا المنهج.

وأما عن منهج المؤلف فقد ذكرناه لك سابقا وجاءت النماذج بحمد الله معبرة عن المنهج فنراه.

١ ـ يجمع الآيات القرآنية المتحدة المعنى أو المتقاربة فيه في جو واحد يوضح بعضها بعضا ويكمل بعضها بعضا.

٢ ـ أعمال اللغة من خلال الاستعمال القرآني تحقيقاً للبيان. وتوضيحا للمعنى:

٣ ـ أنه لم يذكر الآيات التي لم توجد لها آيات توضحها في القرآن كما وضح ذلك من النموذج الأول.

٤ ـ المفسر اعتمد على الاحاديث الصحيحة والحسنة في بيان الأحكام، وأشار إلى مراجعها ومواضعها منها.

٥ ـ تعرض المفسر للرجال جرحاً وتعديلاً، وانظر مثالا لذلك فيما أعمل فيه بحثه للرجال ١/٢٣٠ ـ ٢٣١.

٦ ـ أنه تعرض لمسائل العقائد في ثنايا تفسيره واعتمد فيها على أقوال السلف رضوان الله عليهم.

٧ ـ أنه أضرب صفحا عما ينسب إلى النقل عن أهل الكتاب ولم يوضح لنا شيئا فيه وربما كانت مقولة ابن كثير رحمه الله أسلم للقارىء لأنه دعا القارىء إلى التلاوة مكتفيا بها عن الأنشغال بها،
ونحب أن نذكر لك اننا وضحنا لك فيما سبق وجهة نظرنا في هذه المسألة حتى لايجرى الأمر فيها على مايفهم من ظاهر كلامهم، ومايترتب عليه.

٨ ـ بين القراءات المتواترة وربط بين معانيها موجها مابدا مختلفا فيها، وانظر في ذلك كلامه عند قوله تعالى «فجزاء مثل ما قتل من النعم» من سورة المائدة ٢/١٦٨ وانظر أيضا كلامه مع قوله تعالى «يأأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» من سورة الحجرات ٧/٦١٧ ـ ٦٢٨.

ولا يسعنا هنا إلى أن نبه إلى أن هذا الكتاب يقع في عشرة أجزاء خص الجزء الأخير منها بالكلام عن «دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب» وقد جمع رحمه الله في هذا الجزء مايمكن أن يقال أن فيه اضطرابا ورده

وذلك من أول القرآن إلى آخره، فهو جمع لما ذكره في ثنايا الأجزاء السابقة في هذا الجزء وربما زاد في هذا الجزء.

كما لايفوتنا هنا أن ننبه إلى أننا نرى أن هذا التفسير أنما هو تفسير بالاثر مخلوطا بالرأى وليس هو تفسير فقهى كما ذهب إلى ذلك بعض أهل العلم لأن الرجل فسر فيه ماهو متعلق بالأحكام، وغيره، كما أنه ترك بعض آيات تعلقت بالأحكام كما ذكرنا في النموذج الأول.

تفسير يحيى بن سلام
المتوفى سنة ٢٠٠ هـ

التعريف بمؤلف هذا الكتاب :

هو يحيى بن سلام بن أبى ثعلبة، أبو زكريا البصرى.
نزيل المغرب، وسكن افريقية دهراً، وسمع الناس بها كتابه في تفسير القرآن أدرك نحو من عشرين رجلا من التابعين، وسمع منهم وروى عنهم، كان ثقة ثبتا ذا علم بالكتاب والسنة، ومعرفة اللغة العربية، صاحب سنة يقول أبو العرب في طبقات القيروان (كان مفسراً، وكان له قدر، ومصنفات كثيرة في فنون العلم، وكان من الحفاظ، ومن خيار الخلف).
توفس سنة ٢٠٠ هـ[١].

التعريف بالكتاب :

يقع هذا التفسير في ثلاثين جزءا من التجزئة القديمة أي في ثلاث مجلدات ضخمة وتوجد من هذا التفسير ببلاد تونس نسخة عظيمة القدر موزعة الأجزاء، نسخت منذ ألف عام تقريبا، منها مجلد يشتمل على سبعة اجزاء بالمكتبة العبدليه بجامع الزيتونة الأعظم، وآخر يشتمل على عشرة أجزاء بمكتبة جامع القيروان ومن مجموعهما يتكون نحو ثلثين من جملة الكتاب، ويوجد جزء لعله يتمم بعض نقص النسخة، وهو من المقتنيات الخاصة لبعض العلماء الأفاضل[٢] بقول ابن الجزرى نقلا عن الدانى: (.... ليس لأحد من المتقدمين مثلة)[٣].

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات القراء لابن الجزرى ٣٧٣/٢، ولسان الميزان ٢٥٩/٦، وطبقات المفسرين للداودى ٣٧١/٢.

(٢) انظر التفسير ورجاله ص ٢٩.

(٣) طبقات القراء ٣٧٣/٢.

منهج المؤلف فيه :
يذكر المؤلف النص القرآني، ثم يعقبه بايراد الأخبار مسندة، ثم يتبعها بالنقد والاختيار.
وفي عرض الأخبار المروية يفتتحها بقوله «حدثنا» ثم يأتي بحكمة الاختيار مفتتحا بقوله «قال يحى».

ويجعل مبنى اختياره على المعنى اللغوى، والتخريج الاعرابي ، ويتدرج من اختيار المعنى إلى اختيار القراءة التي تتماشى وإياه مشيرا إلى اختياراته في القراءات،

وله اختيار في القراءة من طريق الآثار لا يبعد أن تكون راجعة إلى قراءه عمر بن العلاء البصرى. لأن يحى بن سلام بصرى النشأة، وإلى طريقته المختارة في القراءة يشير في تفسيره بقوله «والذي في صحفنا»[1].

وعلى هذا يكون يحيى بن سلام متقدما على الطبرى في هذا النوع من النهج بما يقارب القرن من الزمان.

يقول الشيخ محمد بن عاشور: (ولعل فزاذة هذه النسخة التونسية هو الذي يعتذر به الذين أهملوا شأن ابن سلام في مراحل التفسير وان كان التعريف بها حاصلاً منذ اكثر من خمسين سنة في الجزء الأول من الفهرس التفصيلى للمكتبة العبدلية، وقد أخذت عنها صور لمعهد المحطوطات العربية، وكثير من دور الكتب في المشرق والمغرب)[2].
ونعتذر للقارىء الكريم عن إيراد النماذج من هذا التفسير لأنه ليس في مقدورنا الآن عاملين قدر الامكان على وجودها.

رجاء: نرجو من الباحثين في القرآن وعلومه، أن يعملوا على تحقيق هذا الكتاب العظيم الذي يعتبر فتحا في تاريخ التفسير الأثرى مختلطا بالرأى،.

---

(١) التفسير ورجاله ص ٢٨.
(٢) نفس المرجع ص ٢٩.

الخاتمـــة

القرآن كلية الشريعة، وأصلها الأصيل، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، مشتملا على غايات ووسائل إلى هذه الغايات ــ لذلك كان الاهتمام ببيانه مهمة جليلة القدر تولاها رسول الله ﷺ، وصحابته والمسلمون من بعدهم، قياما بواجب كفائي، حتى تبرأ ذمتهم مما عهد إليهم ليتعبدوا الله به.

وخلاصة مابيناه لك ــ فيما سبق ــ مايأتي:

١ ــ بينا لك المقصود بالمناهج، وبيان معنى التفسير والتأويل، ومدى الحاجة إلى علم التفسير، كما وضحنا لك مايحتاج إليه المفسر من أدوات، وبينا لك أن النبى ﷺ علم بما في القرآن كله برهان ذلك قوله جل ذكره ﴿لاتحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه، وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إنا علينا بيانه﴾ ــ القيامة الآيات ١٦ ــ ١٩ ولقد علم النبى ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم ماسألوه عنه.

٢ ــ بينا لك مصادر التفسير في العصر الأول وهي تتمثل في.

(أ) القرآن الكريم.
(ب) ماوضحه النبى ﷺ لصحابته إجابه لهم عما سألوا عنه.
(جـ) اجتهاد الصحابة.
(د) أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومدى الأخذ عنهم وطبيعته، مع بيان موقف شيخ الاسلام ابن تيمية من هذا المصدر وعالجنا لك هذا الجانب من خلال مقارنه ــ عرضناها ــ بين مأأخذه أهل التفسير، وبين ماهو مدون عند أهل الكتاب مبينين لك الحق في هذا الجانب حسب أعتقادنا ولقد ترجمنا لمن نقل

عنهم ممن أسلموا من أهل الكتاب مبينين حسن إسلامهم وثقتهم وعدالتهم.

٣ ــ بينا لك المفسرين من الصحابة ــ مترجمين لكل منهم ــ مع بيان حكم تفسير الصحابى، كما ذكرنا لك خصائص التفسير في هذا العصر.

٤ ــ بينا لك مصادر التفسير في عصر التابعين، وذكرنا لك أنها بعينها مصادر التفسير في العصر الأول إلا أنهم توسعوا في:

(أ) الاجتهاد.

(ب) الأخذ عن أهل الكتاب.

كما بينا لك المدارس التفسيرية في هذا العصر، ذاكرين من قامت على كواهلم هذه المدارس، ثم بينا لك قيمة التفسير عن التابعين وخصائصة.

٥ ــ توصلنا إلى أن التفسير مرَّ بمراحل هي.

(أ) مرحلة التلقى والتلقين حيث لقن النبى ﷺ الصحابة، وتلقى منه الصحابة رضى الله عنهم ــ وكذا الحال بعد ذلك بالنسبة للمراحل الزمنية التي أعقبت عصر الصحابة.

(ب) مرحلة الجمع: جمع التفسير في هذه المرحلة على أنه باب من أبواب الحديث.

(جـ) مرحلة الانفصال: وفي هذه المرحلة انفصل التفسير عن الحديث بالتدوين الكتابي مشيرين إلى أول من بدأ ذلك، على أن ماجمع مع الحديث بقى كما هو إلى يوم الناس هذا، غاية ماهنالك أن التفسير أخذ تدوينا مستقلا مبين أن أقدم ماعرف عن التدوين الكتابي كان على يد عبد الله بن عمرو بن العاص، وذكرنا لك أن أول تفسير سار على ترتيب المصحف ــ في مبلغ علمنا ــ هو تفسير سعيد بن جبير.

(د) مرحلة رفع الأسانيد، وما انبثق عنها من تفاسير مختلفة، مشيرين إلى أنواع منها، ثم أفردنا من بينها التفسير الكونى نظراً لأهميته من حيث كثرة الكلام فيه في هذا العصر.

٦ ــ قسمنا التفسير إلى نوعين :

(أ) التفسير الأثرى (ب) التفسير بالرأى.

ووضحنا المقصود بالتفسير الأثرى، ومتى نشأ، ومقدار الثقة به وأهم الكتب المؤلفة فيه، وفصلناه إلى منهجين.

احدهما: التفسير الأثرى المجرد، وبينا فيه مايعتمد عليه من جهة السند والمتن وقد فصلنا لك القول. في اثبات اتصال مراحل التفسير وفي ذلك رددنا على من زعم ضياعه في المرحلة الأولى.
وقد تبين لنا من خلال عرض نماذج هذا اللون صحة عزو الأخبار إلى مصادرها وعقبنا كل نموذج بما يستخلص منه، رابطين بينه وبين منهج صاحبه.

ثانيهما: التفسير بالأثر مخلوطا بالرأى: وقد عرضناه لك كعرضنا لسابقة ووضحنا خطورة الاعتماد على المستشرقين ــ على الثقة بعلمائنا من المسلمن وبينا وجه الحق ــ في هذه القضية ــ حسب اعتقادنا.
وهنا يجدر بنا أن ننبه إلى أن ما شتمل عليه القرآن ينحصر في أمرين.
(أ) غابات ، (ب) ووسائل
وأن المفسرين لم يعولوا إلا على الصحيح فيما كان متعلقا بالغايات وأما الوسائل فقد يكون فيها ماهو دون الصحيح، ومثل ذلك مقبول في هذا الجانب مع تأكيدنا على أن القوم لم يعتقدوا صحته.
كما عرضنا لك النوع الثاني وهو التفسير بالرأى مبينين معناه وبينا منه ماهو محمود وما هو مذموم، ومتى نشأ ومقدار الثقة به.

٧ ــ لم تتضح لنا الصلة بين كتاب «الدر المنثور» للسيوطى وبين ما تمناه من اختصار تفسير «جامع البيان في تفسير القرآن للطبرى» حيث أننا لم نعثر على هذا الاختصار في مصنفات السيوطى، وذكرنا مايدور بذهننا في هذا المجال، آملين أن يحقق بعض الباحثين القول في هذا الموضوع.

ولعلنا قد أوفينا غرضنا من هذا الكتاب ــ بحمد الله ــ سبحانه ــ سائلين إياه العصمة من الزلل وان ينفع به في غرضه، فانه المستعان وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

١ ـ ابن تيمية ومنهجه في التفسير ناصر الحميد رسالة دكتوراة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ.

٢ ـ الاتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطى مصطفى الحلبي ١٩٥١م ـ الطبعة الثانية.

٣ ـ اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث عفت محمد الشرقاوى مطبعة الكيلاني ١٩٧٢م.

٤ ـ احكام القرآن شهاب الدين أبى الفضل وأحمد بن حجر العسقلانى دار المعارف الهند طبعة أولى .

٥ ـ أحكام القرآن عماد الدين بن محمد الطبرى المعروف بالكيا الهراس تحقيق موسى محمد على والدكتور عزت عطية دار الكتب الحديثة ـ مصر.

٦ ـ إرشاد الفحول في تحقيق الحق من علم الأصول محمد بن على الشوكاني مصطفى الحلبى ١٩٣٧م ـ مصر.

٧ ـ ارواء الغليل في تخريج احاديث منار السبيل محمد ناصر الدين الألبانى المكتب الاسلامى بيروت طبع الأولى ١٩٧٧م.

٨ ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة ابن الأثير الجزرى الوهابية ـ ١٢٨٠ هـ.

٩ ـ الاصابة في تمييز الصحابة احمد بن على العسقلاني الشرفية ١٩٠٧م.

١٠ ـ الاصلان العظيمان جمال البنا حسان ١٩٨٢م القاهرة.

١١ ـ أضواء لبيان في ايضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين الشنقيطى الرياض المملكة العربية السعودية المطابع الأهلية للأوفست ١٩٨٣.

١٢ ــ اظهار الحق رحمه الله الهندى مطابع اظهار الحق بمصر ١٩٧٨م.
١٣ ــ الأعلام خير الدين الزركلى دار إحياء التراث بيروت.
١٤ ــ الاكسير في علم التفسير البغدادي ــ تحقيق عبد القادر حسين المطبعة النموذجية ــ القاهرة ١٩٧٧م.
١٥ ــ الأم محمد بن ادريس الشافعى دار المعرفة ــ بيروت.
١٦ ــ الانتصار لنقل القرآن أبو بكر الباقلانى تحقيق د/محمد زغلول سلام منشأة المعارف ــ اسكندرية ١٩٧٨م.
جامع الترمذي. ابو عيسى الترمذي الاميرية ١٢٩٢هـ.
١٧ ــ الجرح والتعديل أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى المعارف الهند ١٩٥٢.
١٨ ــ جواهر القرآن أبو حامد ــ العزالى كردسنان العلمية ١٣٢٩.
١٩ ــ الحديث والمحدثون محمد محمد أبو زهو مطبعة مصر ١٣٧٨ هـ الطبعة الأولى.
٢٠ ــ خلاصة تهذيب الكمال صفى الدين الخرجى الخيرية ــ ١٣٢٢ هـ.
٢١ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور جلال الدين السيوطى بيروت.
٢٢ ــ زاد المسير في علم التفسير أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى المكتب الاسلامي ١٣٦٤ هـ الطبعة الرابعة.
٢٣ ــ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة محمد ناصر الدين الألبانى المكتب الاسلامى ١٣٩٨ هـ الطبعة الرابعة.
٢٤ ــ سنن ابن ماجه أبى عبد الله بن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى عيسى الحلبى ــ مصر.
٢٥ ــ سنن أبى داوُد أبو داود سليمان بن الأسعث مصطفى الحلبى طبعه الأولى.
٢٦ ــ سنن الدارمى أبو محمد عبد الله دار إحياء السنة النبوية.
٢٧ ــ سنن النسائى أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائى طبعة أولى ١٩٦٤.

٢٨ ــ السنن الكبرى احمد بن الحسين البيهقى دار الفكر ــ بيروت.
٢٩ ــ سيرة بن هشام أبو عبد الله محمد بن اسحاق ــ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد م محمد على صبيح ــ مصر.
٣٠ ــ شذرات الذهب عبد الحى بن العماد مطبعة القدس ــ ١٣٥٠هـ.
٣١ ــ صحيح البخارى البخارى مصطفى الحلبى طبعة أولى ١٩٥٣.
٣٢ ــ صحيح الجامع الصغير محمد ناصر الألبانى المكتب الاسلامى ــ بيروت.
٣٣ ــ صحيح مسلم بن الحجاج البنا تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى الطبعة الأولى.
٣٤ ــ الضوء الألمع لأهل القرن التاسع شمس الدين الشهاوى القدس ١٣٥٥هـ.
٣٥ ــ طبقات الحفاظ جلال الدين السيوطى الاستقلال الكبرى ــ القاهرة ١٩٧٣م.
طبقات الشافعية.
٣٦ ــ طبقات المفسرين جلال الدين السيوطى يحقق محد على عمر ثنيه وهبه ــ القاهرة ١٩٧٦م.
٣٧ ــ طبقات المفسرين شمس الدين محمد بن على الداوُدى مكتبة وهبه ــ القاهرة.
٣٨ ــ غاية النهاية في طبقات القراء شمس الدين الجزرى دارة الكتب العلمية ــ بيروت.
٣٩ ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان نطام الدين النسايورى مصطفى الجلبى ١٩٦٢م.
٤٠ ــ فضائل القرآن أبو عبيد القاسم بن سلام مخطوط ــ برلين.
٤١ ــ الفهرست ابن النديم الرهبانية ــ ١٣٤٨هـ.
٤٢ ــ في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق ــ بيروت ــ ١٩٧٥م الطبعة الثانية.
٤٣ ــ القرآن المجيد محمود غرة دروزه القيصرية ــ بيروت.

٤٤ ـ القاموس المحيط مجد الدين الغبرون ابادى المصرية ١٩٣٥.
٤٥ ـ الكتاب المصنف في الاحاديث والآثار عبد الله بن محمد بن أبى شيبه الدار السلفية ـ الهند ١٩٧٩ ـ الطبعة الثانية.
٤٦ ـ كتاب الموضوعات أبو الفرج بن الجوزى تحقيق عبد الرحمن عثمان المكتبة السلفية ١٩٦٦م.
٤٧ ـ كشف الخفا ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس اسماعيل بن محمد العجلونى.
٤٨ ـ لسان العرب ابن منظور الأميرية ـ مصر ـ ١٣٠٢هـ.
٤٩ ـ لسان الميزان ابن حجر العسقلانى الهند ١٣٣١ هـ.
مختصر تفسير ابن كثير محمد على الصابونى.
٥٠ ـ المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن الكريم جولد تسهير تعريب على حسن عبد القادر العلوم ١٩٤٤ ـ القاهرة.
٥١ ـ مذكرة في علوم القرآن عبد العظيم غباشي .
٥٢ ـ المستدرك على الصحيحين الحاكم النسابورى دار المعرفة بيروت.
٥٣ ـ مسند الامام أحمد أحمد بن حنبل الشبانى المكتب الاسلامى ـ بيروت ـ ١٩٧٨ الطبعة الثانية.
٥٤ ـ المعجم الكبير سليما بن أحمد الصرافى الدار العربية للطباع.
٥٥ ـ معرفة علوم الحديث الحاكم النسابوى دار الكتب المصرية ١٩٣٧م.
٥٦ ـ مقدمة بن خلدون عبد الرحمن بن خلدون الشرقية ١٣٢٧هـ.
٥٧ ـ مقدمتان في علوم القرآن المستشرق الدكتور آرث حفرى الخانى بمصر ـ ١٩٧٢م.
٥٨ ـ مقدمة التفسير الراغب الاصفهانى الجمالية ١٣٢٩هـ.
٥٩ ـ مقدمة في أصول التفسير تقي الدين ابن تيمة الطرفى دمشق ١٩٣٩م.
مناهج تجديد أمين الخولى.

٦٠ ــ مناهج في التفسير مصطفى الصاوى الجوينى منشأة المعارف ــ اسكندرية.
٦١ ــ مناهل العرفان محمد عبد العظيم الزرقانى عيسى الحلبى ــ القاهرة.
٦٢ ــ منهج الفرقان محمد علي سلامة شبرا مصر ١٩٣٨م.
٦٣ ــ الموافقات أبو اسحاق الشاطبى م. فرج الله الكرى ١٣٢٥ هـ.
٦٤ ــ الموطا مالك بن انس ــ تحقيق محمد عبد الباقى عيس الحلبي ــ ١٩٥١م.
٦٥ ــ ميزان الاعتدال في نقد الرجال الذهبى السعادة ــ القاهرة ــ ١٣٢٥هـ.
٦٦ ــ ناسخ القرآن ابن الجوزى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.
٦٧ ــ نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنواظر (ابن الجوزى ــ تحقيق الست سهرالنا المعارف ــ الهند ١٩٧٤م).
٦٨ ــ النشر في القراءات العشر الجزري.
٦٩ ــ النص القرآنى بين التفسير والتأويل الدكتور عبد الفتاح ابراهيم سلامة رسالة دكتوراه ــ كلية أصول الدين ــ القاهرة.
٧٠ ــ هدى الساري مقدمة فتح البارى ابن حجر العسقلانى الادارة الطباعة المنيرية ١٩٤٧م.
٧٠ ــ وفيات الأعيان في أبناء أبنا، الزمان شمس الدين بن خليكان تحقيق حسان عباس دار صادر بيروت ١٩٧٨.

فهرس المحتويات



مطابع الفرزدق التجارية - الرياض

المعـذر ٤٨٢٤٩٨٣ / ٤٨٢٤٨٦٥